الغبث الهامع

(١)

فرع الدراسات وخدمة التراث
الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م

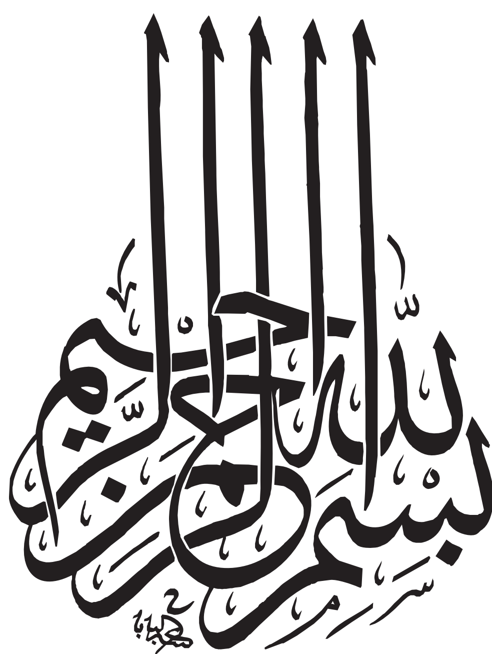
الغيث الهامع والمزن الدامع

في ترجمة

الشيخ عبيد بن عبدالملك بانافع

(ت ١٠٠٦ هـ)

الغلاف الداخلي


بسم الله الرحمن الرحيم

المطلع القرآني

﴿ أَمَّنْ هُوَ قانتٌ آنَاءَ الليلِ ساجِداً وقائماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ ويَرْجُو رَحمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْ تَوي الَّ ذينَ يَعْلَمُونَ والَّذينَ لا يَعْلَمُونَ . إنمّ ا يَتَ ذَكَّرُ أُولُ و الأَلباب . قُلْ يا عِبادِ الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذينَ أَحْسَنُوا في هذه الدُّنيا حَسَنَةٌ وأَرْضُ اللّه واسِعَةٌ إِنمّا يُوَفّ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيرِ حِسابٍ ﴾ .

[الزمر: ٩–١٠]

الإهداء

إلى سُلالاتِ الشَّيخِ عُبَيدِ بنِ عبدالملك بانافع..

وإلى المُتَطَلِّعينَ حَقّاً إلى نماذِجِ السَّلَفِ الصالح، غيرَ مُغالِينَ ولا مُكَذِّبينَ..

أُهْدِي هذه الترجمة..

وأهيبُ بالسُّلالة، ممَّنِ اطَّلَعَ على هذِهِ الأمثلةِ، أَنْ يَتَّقِيَ اللّه في لُحومِ الصُّلحاء.. أئمةِ الطَّريق.. وشُيُوخ الفَرِيق.. وهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ في النَّارِ على مَناخِرِهِمْ إلا حَصائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ ؟

المؤلِّف

شاهد الحال

عاشَ مُعْرِضاً كلَّ الإعراضِ عن الحياة الفانية، زاهداً في حطامِها، غيرَ ناظرٍ للناس في ذواتهم فضلاً عمّا في أيديهم إلا من كان من عباد اللّه الصالحين أو من أهل البيت النبوي، فله معهم تمام الأدب والانطواء، مظهراً لهم صدق المحبّة، مُنزلاً لهم من قلبه وعمَلِه المكانةَ الرفيعةَ طمَعاً فيما عند اللّه من الثواب المترتب على إقامة الأسباب.

المؤرخ أحمد بن محمد بانافع أبونجمة

((ترجمة الشيخ عبيد)) ص١١

المقدمة

نحمدُ اللّه الذي هَيَّأَ الأسباب، لحفظ تُراثِ الشيوخِ الأحباب، ونشكُره على نعمة الإسلامِ وحبِّ الصالحين وإن لم نعملْ بعملهم، سائلينَ المولى أن يكتُبَنا معهم ومنهم وفي بَرَكَتِهِم، لقوله صلى اللّه عليه وآله وسلم : « المرءُ معَ مَن أَحَبّ »، والصلاة والسلام على الحبيبِ المحبَّب، سيدِنا محمدٍ العبدِ المحَضِ المقرَّب، وعلى آلِه الكرام، وصحابته الأعلام، وعلى مَنِ انتهجَ منهجَهم وسلك سبيلَهم طلباً لرضاء ربِّ الأنام، مِن يومنا هذا إلى يوم الدين.

وبعدُ فهذه ترجمةٌ موجزةٌ لأحدِ رجالِ القرن العاشر الذين عطَّرتْ أخبارُهم وأحوالُهم البلاد، وانتفع بهم العباد، نقلتُها بتصرفٍ من مخطوطٍ قديمٍ كتبَه الشيخ أحمد بن محمد بانافع المعروف بأبي نَجْمَة، وقد أشار رحمه اللّه أنه التقطه من وُرَيقاتٍ كانت للشيخ الحَسَن بلحاج باجفير تلميذ المترجم له الشيخ عبيد ، وهي معروضةٌ بأسلوب ذلك العصر وعباراته ؛ ولكني حاولتُ قَدْرَ استطاعتي تقريبَ المفهوم لجيلنا المعاصر كي يقرأ عن حقيقة رجال الإسلام.. وأئمة التصوف الأعلام.. بلسان الزمان .

وسيجد القارئ في هذه الترجمةِ أعاجيبَ الأحداث والأخبار، ونماذج الخير والأخيار وبعض الكرامات[1] ، من رجالٍ صدقوا ما عاهدوا اللّه عليه، وخاصةً أنَّ الشيخ عُبيداً من بلادٍ قَلَّتْ إشاراتُ المؤرخين المعاصرين أن يذكروها أو يعتنوا برجالها وأعلامها، إذ إن غالب كتب التاريخ والتراجم اهتمتْ بحضرموت وببعض أعلام عواصم اليمن كصنعاء وزَبيد وعدن وأبين، وغفلتْ عن المناطق الوسطى، وهي ما بين عدن إلى حضرموت، وتشمل بلادَ دَثِينةَ والعوالقِ والعواذلِ وأرضَ الواحديِّ وبَيحان وحَجر وما حولها من البلاد .

وهذه المناطق كانت تسمى عند المؤرخين بحضرموت « أرض القبلة »، ومنها سافر العديد من طلبة العلم إلى تريم وسيؤون وعينات في سبيل التعلم والأخذ والتلقي ما بين القرن السابع

(١) اعتمدنا نقل بعض كرامات الشيخ عبيد في هذا المؤلف خلافاً لما اعتدنا عليه في بقية التراجم من هذه السلسلة ، وذلك لأن كثيرا من وقائع هذه الكرامات ذات صلة بورود أسماء بعض المناطق والشخصيات المطمورة في التاريخ، فأثبتنا هذه الكرامات لتوثيقٍ تاريخيٍّ يتلاءم مع عصر المترجم له، وسيجد الراغب في التعرف على موقفنا من إيراد هذه المادة وتجاوزها في كتابنا « شروط الاتصاف » مطلوبه، كما أننا خصصنا لها فصولا في ترجمة « الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم » ضمن هذه السلسلة، وكذا في ترجمة الشيخ عبدالرحمن السقاف والشيخ عبدالله باعلوي.

والثامن وحتى القرن الرابع عشر الهجري، وعاد هؤلاء الطلاب إلى قراهم ومضاربهم ونشروا فيها العلم والدعوة إلى اللّه، وربطوا بين بلاد أرض القبلة وحضرموت في كافة عاداتها وعباداتها .

وحياةُ الشيخ عبيد نموذجٌ من نماذج الدعوة إلى اللّه في بلاد العوالق وما حولها، تحت راية مدرسة السادة بني علوي القاطنين بحضرموت، وخصوصاً إبّان ظهور الشيخ الكبير أبي بكر بن سالم صاحب عينات، الذي ارتبط به الشيخُ عُبيدٌ واتصل بأسانيده وصار منسوباً إليه، بل كان ظهوره فيما بعدُ في أرض العوالق ببركته .

ومما تجدر الإشارةُ إليه أن مظهر الشيخ أبي بكر بن سالم كان في هذه المرحلة يفوق كثيراً من المظاهر الروحية الأخرى وخاصةً في أرض القبلة، بحيث إن ذريته وتلامذته استطاعوا أن يحكموا البلاد التي نزلوا بها دون الحاجة للسلاح والمال، وتولى بعض تلامذته في بلادِ يافعٍ الحكمَ بإشارته . ورحل سلطانُ يَشْبُم صلاحُ بنُ باقب من عاصمة سلطنة يشبم وتحول إلى نِصاب لما ظهر الشيخ عُبيدُ بنُ عبدالملك بالمظهر الروحيِّ الكبير في

بلاد العوالق، وأُثِرَ عن السلطان مقالتُه للشيخ عبيد معترفاً بجلال الشيخ ومقامه ونفوذه : « لا يجتمع سَيفانِ في جَفِير » .

وتوطَّد الكثير من أرض القبلة لأتباع الشيخ أبي بكر وذريته ما بين مقامِ سلطةٍ حكوميةٍ أو سلطةِ مناصبٍ روحيةٍ نافذةٍ على القبائل والدول .

وأرسى الشيخُ عبيدٌ في بلاد العوالق مدرسةَ وطريقةَ آلِ باعلوي مع غاية من المظهر الروحي النافذ، ووجّه العشراتِ من أهل تلك البلاد ومن قبيلته أيضا آل بانافع لطلب العلم بحضرموت، فتمكَّن بذلك سيرُ الطريقة وتخرَّج الكثير من أولئك المشايخ من تريم وعينات وسيؤون والغرفة والمسيلة، وعادوا بالخير الوفير والمدد الكبير، وانتشروا في يَشْبُم والصعيد ونِصابٍ وأحورَ والمحفد وغيرها، وتولوا مهمة القضاء والتدريس والإمامة والخطابة والإصلاح بين الناس .

نبذة عن بلاد العوالق منشأ الشيخ عبيد

بلاد العوالق جزءٌ من بلاد اليمن، والعوالق هم مجموعة من القبائل العربية، مضاربُها تمتدُّ من سواحل المحيط الهندي المتاخم لليمن حتى بلاد « قصاب بَيحان » شمالاً، ومن بلاد العواذل غرباً حتى بلاد الواحدي شرقاً .

وهي تنقسم إلى قسمين : **العوالق العليا**، وعاصمتُها نِصاب، ومن مدنها الصعيد ويشبم وخُورة، **والعوالق السفلى**، وعاصمتهم أحور، ويقطنون السهول، ومن مدنهم المحفد والحـاق ولَباخة، ويعتمد العوالق في حياتهم على الزراعة ورعي الأغنام، وتجمعهم أَواصِرُ عرقيةٌ واحدة، خصوصاً قبائلُ المنطقة القدماء، ويمتاز العوالق بشجاعتهم النادرة وهمَّتهم الأريحية وحبهم للخير وأهله، ورغبتهم في التوجه إلى العلم إذا وجدوا مَن يحسن أسلوب الدعوة معهم، وقد احتضنَ العوالقُ دولةً وشعوباً دعوة « آل البيت النبوي » بحضرموت منذ ظهورها، وأسهموا في نشرها وحمايتة رجالها واستقبال الأفواج من ذرية بني علوي في مناطقهم وقراهم، مع كمال التقدير والحب والاحترام، مما جعل العديد من آل البيت يستقرون في هذه المناطق ويعيشون مع أهلها .

وقد أشارت كتبُ التراجم والتاريخ إلى هذا التعاطف وخاصة الكتب المعنية بهذا الأمر كـ« الشامل » للسيد علوي بن طاهر و«بضائع التابوت» للسيد عبد الرحمن بن عبيد اللّه، ومن قبلهم «المواهب والمنن» للسيد علوي بن أحمد بن الحسن الحداد، وفي كتاب « الطَّرْف الأَحْوَر في تاريخ مخِلاف أحور » لجامع هذه الترجمة بسطٌ شاملٌ لهذه المسألة[1] .

وأما مدينة « يشبم » مسقط رأس الشيخ عبيد ومنشؤه فهي من مدن التاريخ القديم، ورد ذكرها في النقوش القديمة، ووُصفت بأنها من مدن التجارة القديمة في التاريخ، وقد سكنها جملةٌ من الفئات الاجتماعية على ممر العصور وتقلباته، ومنهم المشايخ آل بانافع قبيلةُ الشيخ عُبيد، ولا زال من أعقابهم جماعاتٌ بها إلى اليوم، كما سكنها فيما بعدَ القرن الثاني عشر الهجري السادةُ آلُ الجفريّ وتكاثروا بها، وانتشرت ذُرِّيَّتُهم منها إلى بقاع أخرى وحازُوا بها المكانة العليا من الاحترام والتقدير، وسار أوائلهم بالسيرة الحسنة والقدوة المستحسنة حتى صارت كلمتهم هي النافذة في الدولة والقبائل وبقية الرعايا .

(١) ولا زال تحت الطباعة.

وكان أول من قدم منهم إلى بلاد العوالق السيد عل وي ب ن علي بن أحمد بن علوي بن عبد الرحمن الجفري الش هير « بم ولى العرشة » تل ميذ الشيخ أبي بكر بن سال . م المقب ور بتَ رِيس، وبقدوم سيدنا المذكور أَسَّس لأبنائه وأحف اده مج داً ومقام اً لا يُضاهى، ذكره صاحب « التاريخ المعت مد »[١] بقوله : ونتج عن ذلك الجاهُ العظيم والقَدْرُ الجسيم في قلوب القبائل، ح تى وص ل بذلك أن العصا والذَّبَلَة[٢] من الثوب تكون خَفِيراً[٣] فضلاً عن أحد أولاد السادة .

وكان موقف آل بانافع من السادة آل الجفري موقف المس اندة والتأييد في كل الأحوال والأمور، مما هيأ للجميع حفظَ مودةِ الآباء وخدمةَ البلاد والرعايا وإقامة الشرع الحنيف .

---

(١) هو رسالةٌ لطيفةٌ في أنساب آل الجفري كتبها السيد عبدالله بن حسن الجف ري، ول م تُطبع بعد .

(٢) مجموعة خيوطٍ من طرف الثوب تُبرم برماً ويحملها المنتسب للشيخ لإطفاء الفتن أو الحروب عند ظهورها .

(٣) ما يُستجار به .

نبذة عن الشجرة النافعية

ينتمي المشايخ آل بانافع الموجودون ببلاد العوالق إلى بني أمية، وذلك بحسب الوثائق المحفوظة لديهم عن ذلك، ومن أهمها مكاتبات وأوراق الشيخ أحمد بن محمد بن أبي نجمة، وهي المصدر الوحيد إلى الآن في إيضاح هوية الشجرة النافعية بالتفصيل، وملخصُ ما ورد فيها قوله :

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه عَزَّ شأنُه، ليعلم مَن وَقَفَ على هذا المرقوم بأني وجدتُ بخط من سمع من الجدِّ العالم العلامة عبدالملك بن عبد اللّه المخرمي بانافع، ووجدتُ أيضا بخط الفقيه عبد اللّه بن علي بن عبد العليم بن عبدالملك بن عبد الرحمن بانافع قال :

وبعدُ فإني وجدتُ أنساباً مكتوبةً بقلم الفقير أبي بكر ابن الفقيه علي بن عبد العليم نافع أن نسب آل نافع إلى بني أمية، روى ذلك الشيخ الكبير القطب الشهير عبيد بن عبدالملك نفع اللّه به وببركاته آمين، وسمع مثل ذلك الفقير إلى اللّه أحمد بن محمد بن أبي نجمة من الحبيب أحمد بن محمد المحضار بالقويرة في وادي

دوعن، ومن الحبيب أحمد بن حسن العطاس بحريضة، أن آل بانافع منتسبين إلى الشهيد عثمان بن عفان . اهـ .

ونقل الشيخ ابن أبي نجمة عن السيد سالم بن أحمد بن علي بن عمر المحضار ما مثاله :

أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب يجتمع بنسب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم عند عبد مناف، فإن سيدنا عثمان بن عفان بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبدمناف إليه يتصل نسب آل بانافع .

قال كاتب الشجرة : وأصل منشأهم من خراسان، كما رُوي أنهم خرجوا ثلاثةَ إخوةٍ لأبوينِ إلى حضرموت، ثم إلى قرية تسمى عَمْد، فأحدهم سكن لها وله عقب فيها، وفي الهجرين يقال لهم آل بانافع . والثاني منهم سكن قرية يشبم وله بها عقب مشهورون بهذا الاسم، وهو جدهم وجد آل الحيق المسمين الآن «آل علي بن بوبكر»، وجد « آل علي بن حسن » القاطنين بوادي عبدان . اهـ .

وتسلسل نسبه هو الشيخ المربِّي عُبيد بن عبدالملك بن عبدالرحمن بن محمد بن أبي بكر بن نافع بن محمد بن أبي بكر بن

نافع بن إبراهيم الأموي، حسب ما ورد في الأصل المخطوط للشجرة النافعية[1]، وأمُّهُ فاطمةُ بنت عليٍّ من قبيلةٍ عريقةٍ يُسمَّون آل باديج بنواحي يشبم[2].

وقد خُدمتِ الشجرةُ النافعيةُ في كتابنا «الطرف الأحور في تاريخ مخلاف أحور»، في بحث ضاف متكامل اشتمل على بعض الوثائق والمشجرات.

مولده ونشأته

وُلد الشيخ عبيد بوادي يشبم في عائلة من عائلات المشايخ أهل العلم والجاه والكرم.

اعتنى به أهله ووجهوه إلى تعلم القرآن ولقنوه الآداب وحسن الأخلاق واحترام الأولياء الصالحين، ولهذا قيل عنه: إنه كان منذ بداياته وهو متوجه إلى الله تعالى بقلبه وقالبه مشتغل بالطاعات من نوافل العبادات والأذكار والصلوات، حتى بلغ من إقباله وصدق

(١) وقد أثبتناها كاملة في كتابنا « الطرف الأحور »، ولا زال تحت الطباعة.

(٢) الترجمة المخطوطة لأبي نجمة ص١٠.

توجهه أنه يقرأ كل يوم من رمضان ختمتين من القرآن، وكان ميالا بطبعه إلى المطالعات والمراجعات في كتب العلم وقراءة كتب التفسير وعلومه، حتى أثر عنه أنه قرأ تفسير الإمام البغوي خمسين مرة مطالعة .

أما كتب التصوف والرقائق فكان مقبلا على قراءتها ومطالعتها خصوصا بعد أن كبر وشب ومنها « الرسالة القشيرية » و« روض الرياحين» و«الإرشاد» كلاهما لابن أسعد اليافعي وغيرها.

وكان له استئناس لأصوات السماع وحضور حضرات الذكر منذ صباه حتى إنه كان يبذل جهده في إحيائها وجمع العديد من الأقران على ذلك .

وكانت فطرته مجبولةً على الأخلاق الحسنة وحسن المعاملة مع الخاص والعام، حتى مالت إليه القلوب وأحبته وحصل له القَبول التامّ، وأما بره لوالديه وتفانيه في خدمتهم فقد بلغ الغاية في الإخلاص واللطف معهم .

وعاش معرضاً كل الإعراض عن الحياة الفانية، زاهداً في حطامها، غيرَ ناظر للناس في ذواتهم فضلاً عما في أيديهم إلا من كان من عباد اللّه الصالحين أو من أهل البيت النبوي، فله معهم

تمام الأدب والانطواء، مظهراً لهم صدق المحبة، منزلاً لهم من قلبه وعمله المكانةَ الرفيعةَ طمعاً فيما عند اللّه من الثواب المترتب على إقامة الأسباب[1] .

وقد خالف منذ صباه كثيراً مما عليه حال أبناء المشايخ والمناصب مظهراً من نفسه طريقَ الفقر إلى اللّه مع الجميع مع التواضع والأدب وإقامة الحقوق، وذاك لما يجد من قوة حاله وملكته لنفسه، حتى إنه لم يَمِلْ قلبه للنساء ولم يتزوج ؛ ولكنه يأمر أصحابه ومَن يستشيره به ويُعينهم على ذلك حفظاً لهم وخشيةً عليهم من الوقوع في الحرام[2].

ومن عجائب أحوال هذا الشيخ أن توجهه الروحي واستعداده الذوقي برز في بيئةٍ انشغل غالبُ أهلِها بالحرث ومعالجة الأرض، وكان له معهم نصيب من المعالجة والعمل مع مخالفة حالهم وطباعهم وعاداتهم، فقد أُثر عنه قوله عن نفسه آنذاك : كنتُ أصومُ وأنا أعمل، ونويتُ يوماً أن أطويَ أياماً مجاهدةً لنفسي فطويتُها وأنا في عمل الحرث أيام عناء البُر وبَذْرِه وشدةِ عمل

---

(١) المرجع السابق، بتصرف ص١١-١٢ .

(٢) المرجع السابق ص٣ بتصرف .

المسنا[1] من الفجر إلى الليل لا يمكنني الجلوس ساعة، وكنت مع ناسٍ لا يعرفون حالي ولا ما أنا فيه فلا يروني إلا كأحدهم، وتختلف عليه نفسي وتتوق إليه وتطالبني بشرب الماء ولباسي دلق -أي: جرم[2] - وشاد على وسطي شداً قوياً، وكان عَتم[3] الماء يتبعني فمنعتها حتى آيستُها، فرأيتُ شيئاً يخرج من فمي حتى وقع في الماء [4].

وكانت للشيخ عبيد نفسٌ جوالةٌ وروحٌ وثَّابةٌ إلى المكْرُمات والأعمال الصالحات حتى أَوْرَثَه ذلك صدقَ المنامات، والمرائي الصالحات الواضحات . ومنها رؤياه لبعض رجال السلف الصالح الذين ظهر أمرهم في عصره وقبل عصره، فها هو يقول عن نفسه : « رأيتُ أنني بين يدي سادتي ومشايخي السادة المشايخ الكرام الأشراف الشيخ الكبير عبد اللّه بن أبي بكر العيدروس وأخيه الشيخ علي بن أبي بكر السكران، ورأيت أنني ولدُ الشيخ عليّ ليس عندي ترددٌ ولا ريبٌ في ذلك، وكنتُ مطمئناً لم أعرف لي والداً

(١) المَسْنا والسِّناوة هي إخراج الماء من الآبار باليد .

(٢) هو اللباس الداخلي تحت القميص .

(٣) مجرى الماء وممره .

(٤) الترجمة المخطوطة ص١٣ .

غيرَه، فقال لي : خُذْ بيد أخيك، وهو يعني الشيخ أبابكر بن عبداللّه العيدروس، فأخذتُ بيده وتماشينا بين أيديهما وهما يتبعان على أثرنا » .

وكان لهذه الرؤيا ومثلها أثرٌ عظيم في نفس الشيخ عبيد، بل كانت بمثابة الدافع القوي لسفره إلى حضرموت فيما بعدُ رغبةً في الاتصال بمَن بقي من أحفاد هؤلاء الرجال .

جاء في نص الترجمة المخطوطة ما مثاله : وحُكي أن الشيخ عبيد والشيخ ربيع بن عمر في بداية أمرهما كانا يختلفان إلى حضرموت على قدم التجريد لزيارة الشيخ معروف باجمال والمعلم باجابر ومحمد باعباد وغيرهم ممن يَكْثُر عدهم، وكان الشيخ أبوبكر بن سالم في ذلك الوقت حالُه في غاية الخمول، وكثيراً ما يقنص الصيد في البادية.

سفر الشيخ عبيد والشيخ ربيع لزيارة نبي الله هود

ورد في نص الترجمة ما صورته : وكان كلما دخل شهر رجب رَحَلَ الشيخ ربيع والشيخ عبيد لزيارة النبي هود على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، وينزلون قبل الزيارة بغرفة باعباد، ومنها إلى تريم إلى شعب نبي اللّه هود.

وأشار المترجم إلى تَعَرُّفِ الشيخ ربيع والشيخ عبيد على الشيخ أبي بكر بن سالم في تلك الزيارات، وهو لا يزال في ذلك الوقت على حال الخمول، ومع تكرار الزيارات لحضرموت اتسعتْ دائرةُ الأخذ والتلقي من الشيوخ الأكابر كما سيأتي في الفقرة الآتية .

مشايخه في بداية سلوكه

انتفع الشيخ عبيد بجملة من المشايخ الأجلاء، كان لهم الأثر العظيم في شحذ فطرته وتقويم عزيمته وارتقاء همته، وخصوصا في بداية الطلب والأخذ، ومنهم :

الشيخ الصوفي ربيع بن عمر[١]

(١) وُلد الشيخ ربيع بن عمر في قرية تسمى ((المافود)) أسفل وادي عرما، ونشأ في بيئة بدو تميل إلى الشدة والأذى وقطع الطريق على المسافرين، كعادة البداوة في تلك الجهات، ولذلك كان الشيخ ربيع بادي حياته لصا يقطع الطريق هو ورجل من ((المقيط)) من قبيلة يقال لهم ((المقابرة)) اسمه ((عياش))، جمعت بينهم موافقة المهنة، فكانوا ينهبون السابلة ويعتدون على القوافل حتى ذاع صيتهم وخشيهم الناس، ولم يجرؤوا على معاقبتهم، وبينما هم في بعض الأيام كامنين في عقبة المافود بين شبوة وعِرما إذ أقبل رجل يسوق حماره فقال : يا جار اللّه من ربيع وعياش اللقيطي، فقال الشيخ ربيع : قد أجارك اللّه، ونحن نستجير اللّه مما نحن فيه، فتاب الشيخ ربيع عن قطع الطريق واشتغل بالأسباب، والسفر من حضرموت إلى أرض القبلة وإلى صنعاء ونواحيها لبيع وشراء ((الفوة))، وهي مادة تضاف للطيب وبعض الصناعات الحرفية، وينزلها إلى حضرموت، وفي هذه الرحلات اتصل بجملة من العلماء والأولياء وأخذ عنهم وانتفع بهم، وخاصة الشيخ إبراهيم بن عبداللّه باهرمز، روى عنه الكثير من الأخبار والآثار عن المشايخ الأحرار .

ومضت على حال الشيخ ربيع سنة كاملة وهو في حالة استغراق في البكاء والذهول، وتنكر على الناس وصار يصوم الوقت كله ولا يفطر إلا على حبات تمر، وفي أثناء ذلك عبر الشيخ العلامة إبراهيم بن عبداللّه باهرمز على الغرفة واجتمع بأعيانها، ومنهم الشيخ العارف باللّه سالم باعامر، وهو من أجل المشايخ الذين أخذ عنهم الشيخ ربيع فيما بعد، فأمرهم الشيخ باهرمز بمراعاة الشيخ ربيع والاهتمام به، فكان الأمر كذلك حتى إن بعض الفقراء الناسكين

من آل باعباد يأتيه بكتاب ((روض الرياحين)) بعد صلاة العصر ويقرأ عليه عشر حكايات، فإذا فرغ من القراءة طبق كتابه ولم يكلمه بشيء.

وبقي الشيخ ربيع في الغرفة ما شاء اللّه حتى تحرك عزمه إلى الخروج إلى وطنه، وهناك واصل جهاده بنفسه، صابرا على شظف العيش، حتى شعت عليه ينابيع الحكمة، وأنطقه اللّه بالعلم اللدني، واجتمع عليه المريدون والتلامذة، وكان منهم الشيخ عبيد بن عبدالملك وأخوه أحمد، لازماه وأخذا عنه وانتفعا به انتفاعا عظيما، حتى كان الشيخ عبيد يقول عنه : سيدنا وشيخنا ربيع بن عمر شيخ الوقت، وهو لذلك أهل .

وروي أن أهل شبوة آذوا الشيخ ربيعا ورموه بضفع البقر، أي:الروث، فخرج منها، فلما وصل إلى العقبة التي بين شبوة وعِرما صعد على أعلاها وأقبل إلى نحو شبوة ودعا على أهلها فقال : اللّهم ابتلهم بالماء العقيق، والدين اللصيق، وبباعة الرقيق، وقطاعة الطريق، وصلّى عليهم أربع تكبيرات . قال المترجم في ((ترجمته المخطوطة)) ص٣٩ : فترى ذلك مشاهداً فيهم نعوذ باللّه من سخطه وسخط أوليائه .

وتقوت صلة الشيخ ربيع بالسادة بني علوي في حضرموت، ورحل إليهم مرات ومرات، وكان جل تعلقه وارتباطه بالشيخ أبي بكر بن سالم، وبينهما صلات ومواصلات، وإلى مثل ذلك أشار كتاب ((أنس السالكين)) ص٤٢٠ للسيد عبداللّه بن عبدالرحمن بن علي باهارون بقوله:

كنا سنة من السنين بقبر نبي اللّه هود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، مع سيدنا قطب عصره الشريف أبي بكر بن سالم بن عبداللّه بن عبدالرحمن السقاف في زيارة لنبي اللّه هود، وكان رجل من ((رَخْيَة)) اسمه ربيع يتردد على الشيخ أبي بكر بن سالم، فقال لنا يوما من الأيام بعدما خرج ربيع من عنده :

وهو من أجل المشايخ الذين تأثر بهم الشيخ عبيد، حيث لقيه في نواحي بلاد العوالق وقرأ عليه، والتزم بسَيرِه ومتابعته، ومِن سماعه لشيخه عن أخبار وأحوال المشايخ من آل باعلوي بحضرموت امتلأ قلبه بحبهم والرغبة في الالتحاق بهم وزيارتهم والاستمداد منهم والأخذ عنهم، وقد ظهر الشيخ ربيع بالتسليك والتأديب في بلاده بعد أخذه العلم والطريق على جملة من المشايخ الذين ظفر بهم في رحلاته، كان منهم الشيخ سالم باعامر من رجال الغرفة والشيخ العلامة إبراهيم بن عبد الله باهرمز، وكان جل انتفاعه به .

وقد اعتنى الشيخ ربيع بتأديب وتسليك الشيخ عبيد، وأدناه وقرَّبه وتفرَّس فيه صدق الرغبة وفرط التعطش إلى الطريق، وكان معه أخوه أحمد بن عبدالملك وكلاهما انتفع بالشيخ ربيع(١) .

أبصروا، هذا ربيع، له نور كشعاع الشمس ما أحد يقدر يملأ عينيه من أنوارها، كذلك ربيع، ما أحد يتملى فيه . انتهى . ولم نقف على تاريخ وفاة الشيخ ربيع ولا موقع ضريحه، رحمه الله رحمة الأبرار .

(١) ورد في الترجمة المخطوطة ص١٩ عن امتلاء الشيخ عبيد بالشيخ ربيع أنه ظهر هذا الامتلاء على حاليهما وصفتيهما فكأنهما جسمٌ وروحٌ واحد، وكانت مجالسهما تحفةً ورحمةً وكشفَ حالٍ نورانيٍّ ونعمةً ظاهرةً وباطنةً وهما مستمرين مستمدين وسيل الرحمة إليهم وارد، يعرفه الغائب والشاهد، وأيامهم بالسعادة زاهرة، وأوقاتهم بتنزلات الحق عامرة، فهما رحمةٌ للعام والخاص .

الشيخ الصُّوفيُّ مَعْرُوفُ بنُ عَبْدِاللّه باجَّمَال

هو الشيخ الكبير الشهير بأبي محمد معروف بن عبد اللّه بن محمد المؤذن ابن عبد اللّه بن محمد بن أحمد أبي جمال ؛ وترتفع نسبته إلى قبيلة « آل باجمال »[1] المعروفين بحضرموت، وهم أهل بيت علم

---

(١) أُثِرَ عن الشيخ الولي العارف باللّه المحقق شهاب الدين بن عبدالرحمن باعلوي قوله: إن لآل أبي جمال نسباً في أبي بكر الصديق رضي اللّه عنه من جهة بعض نسائه، قال : وفي تلك النسبة كانت فيهم الخاصية بكثرة العلماء من زمن قديم إلى الآن، وليس ذلك إلا من السر الذي وَقَرَ في صدر الصديق رضي اللّه عنه .

وجاء في ((مناقب الشيخ باجمال)) : إن جد آل باجمال هو ثور بن مرتع شيخ كِنْدَة، وكانوا وُلاةَ بلادِ ((بُور)) المعروفة بحضرموت، فأخذها منهم آل أبي نجَّار، فانتقلوا إلى شبام، وكان لهم بكل مكان ينزلونه مآثر ومحامد وآبار وسقايات ومساجد .

ولد الشيخ معروف بشبام ليلة الجمعة في الحادي والعشرين من رمضان عام ٨٩٣، وتربى في حِجْر والده، ونشأ تحت رعايته المباركة لائحةً عليه بروقُ القَبول والسعادة من صباه، حتى إن بعض صالحي بلدته قال له : يا بخت من حضر وقتك، وقال فيه الشيخ سعيد الشواف في ((قصعة العسل)) :

سعد من قد حضر وقته ومن رأى خياله

فوز من قد لثم تربه وقبل نعاله

حفظ القرآن في مدة يسيرة، ثم طلع به والده إلى الشحر، والتقى هناك بالشيخ العلامة عبداللّه بن عبدالرحمن بلحاج بافضل، فكان الشيخ يتفرس فيه ويقول: ما أعظم نورانية هذا الولد!

ألف الشيخ معروف الخلوة منذ صباه، وكان يذهب إلى المساجد ليلاً ونهاراً يختلي فيها صائماً قائماً متقشفاً، مع كمال الأدب والصيانة لجوارحه، متجرداً عن أشغال الدنيا.

أخذ عن جملة من العلماء ومنهم الشيخ العلامة عمر بن عبداللّه بن عمر جمال، وصحب الشيخ عبدالرحمن بن عمر باهرمز الأخضر، وكان يسير إليه من شبام إلى هَيْنَن كل يوم ويعود إلى أهله ليلاً، وبقي على ذلك مدة طويلة، وظهرت إشارات فتحه على يد ابن أخي الشيخ باهرمز والشيخ إبراهيم بن عبداللّه باهرمز، فأخذ عنه أخذاً تاماً بأمر شيخه عبدالرحمن باهرمز، حيث تمثل له بهذين البيتين:

سألتُ الناسَ عَنْ خِلٍّ وَفِيّ فقالوا: ما إلى هذا سَبيلُ
تمسَّكْ إنْ ظَفِرْتَ بذَيلِ حُرٍّ فإنَّ الحُرَّ في الدنيا قَليلُ

ثم قال له: إن إبراهيم من الأحرار، عديم المماثل، تمسك به تظفر إن شاء اللّه تعالى.

فكان أَنْ لَزِمَه متأدباً بآدابه، حتى قال عن نفسه: في ابتداء سلوكي مكثتُ خمسة عشر سنة ما نمتُ فيها لا ليلاً ولا نهاراً، وتمضي الأيام الكثيرة ما أطعم فيها غذاءاً، وربما قرأتُ نصف القرآن وأنا مضطجعٌ طلباً للنوم، فلم يطرقني نعاس.

ولما ظهر في مقام النفع العام ظهر بكامل الأخلاق والعلم والاستقامة والكرم الذي لا نظير له في زمانه، حتى قيل: إنه فتح عليه يوماً بخمسين حملاً من التمر، أرسلها بعض محبيه من بعض الجهات، فأمر بتفريقها في اليوم ذاته على

وصلاح وتقى، وأكثرهم بحضرموت علماء أعلام ومشايخ كرام، وقد سعد بهم أهل جهتهم دِيناً ودُنيا .

أخذ عنه الشيخ عبيد وانتفع به خلال تردده على حضرموت حيث تمرُّ قوافل المسافرين ببلاد شِبام مستقرِّ الشيخ معروف ومثواه، ونال الشيخ عبيد من شيخه معروف كاملَ الاعتناء ومزيد الرعاية والنظر والدعاء .

فقراء البلدة ولم يبق لبيته منها شيء، وجيء له في يوم آخر بعشرة أحمال طعام ففرقها في حينها . وبلغ مرتبة عظيمة من العلم والاجتهاد حتى أُثر عنه قوله : من أراد أن يسألني عن شيء في المذاهب الأربعة فليسأل .

ويُؤثَرُ عنه الصفح والحلم عمَّن أساء، ويقول عن نفسه : واللّه إني لا أجد فرقاً بين عدوٍّ ولا صديقٍ، بل لا فرقَ بين رجلين دخلا عليّ أحدهما ضرب هذا الرأس بالمعول –وأشار إلى رأسه– والآخر قَبَّلَ هذه القدم، وضرب بيده على قدمه .

ويصفه السيد الولي الشهير الشيخ علي بن أبي بكر السكران باعلوي بقوله : الشيخ معروف أمةٌ وَحْدَهُ وآيةٌ من آياتِ اللّه، لو أدركه المشايخ لاعترفوا بتقديمه وسَبْقِه . وكان يقول عنه أيضا : الشيخ معروف معروفٌ في السماء ومعروفٌ في الأرض .

وكانت وفاة الشيخ معروف يوم السبت الخامس عشر من شهر صفر سنة ٩٦٩ وعمره نحو ستة وسبعين سنة، رحمه اللّه رحمة الأبرار . انتهى من ((مواهب الرب الرؤوف)) ص٢٤١ . وقد أفردنا له ترجمة ضمن هذه السلسلة.

الشيخ أَحمَد بلوعار العَفِيف

مقدم تربة الهجرين، وهو من كبار الرجال الأولياء، يـ ـذكر أن الشيخ سعيد بن عيسى العمودي تزوج ابنته ، ولـ ـما كانت قـ ـد أَلِفَتِ القيامَ ليلاً مع والدها رأت من الشيخ سعيد فترةً عن القيـ ـام، فرجعتْ يومها الثاني إلى والدتها وقالت : هذا ما له مقام في ليله؟! فقال لها والدُها : ارجعي وانظري ماذا يفعله في ليلتـ ـه ؟ وأرسـ ـل معها مرسولا لأجل أن يأتي بخبره، فقالت له : إنه إذا قَرُبَ الفجـ ـرُ يقوم ليصلي، ثـ ـم يجلس ويقول : أنا.. أنا.. أنا.. كذا كذا مرة، فلما وصل الخبر إلى الشيخ أحمد بن سعيد بلوعار قال لها: هذا المقام الذي ما وصلنا إليه.. إشارةً إلى أن الشيخ سعيد يرد على المنادي : ألا هل من مستغفر ؟ ألا هل من تائب ؟.. إلخ .

وللشيخ أحمد بن سعيد دعاء يتداوله أهـ ـل الهجـ ـرين وبعـ ـض المتعلقين به عند ختم القرآن وجدناه مكتوبا عند أحد المشايخ مـ ـن آل بن عفيف ضمن نبذة موجزة كتبت عنه، توفي ليلـ ـة الخمـ ـيس الخامس من شهر ربيع الثاني عام ٦٣٢ هـ . .

الشيخ إبراهيم بن عبدالله باهرمز

أخذ عنه الشيخ عبيد وانتفع به غاية الانتفاع خلال تردده على حضرموت مع شيخه ربيع بن عمر، وقد حَظِيَ الشيخ عبيد من الشيخ إبراهيم بالإجازة والإلباس والصحبة والمجالسة، ذكر ذلك الشيخ الحسن بن علي بلحاج باجفير في ترجمته للشيخ عبيد، وقال : إن الشيخ باهرمز قال للشيخ عبيد في بعض مجالسه عن مجاهدته لنفسه : « ثلاثين سنة ما انطبق هذا على هذا » يعني عينيه، إشارة لعدم نومه في ذات اللّه، ثم قال له : هذا يا عبيد ليس ثناءً، إن هذه الطريقُ التي مضى عليها السلف. اهـ . ووصف صاحب المناقب بقوله : وكان هذا الشيخ ناسكاً عابداً مجاهداً[1] .

---

(١) المصدر السابق ص٥٧ .

الشيخ أحمد بن عبد اللطيف باجابر « صاحب عندل »[١]

وهو أحد المشايخ الأكابر الذين كان لهم الصيت الذائع، والمظهر الرائع، والمقام الشاسع في نواحي حضرموت، وخاصة وادي دوعن، عرف بالمكارم والفضائل، وحسن السمت وزين الشمائل، له الأيادي في أعمال الخير ومبراته، ونشر العلم والدعوة إلى اللّه في كافة أوقاته .

أخذ عنه الشيخ عبيد بن عبدالملك خلال تردده المتكرر على الوادي بإشارة من شيخه الشيخ ربيع بن عمر، حتى صار الشيخ عبيد يمكث في ضيافة الشيخ أحمد بعندل الشهر والشهرين[٢] .

قال المترجم في ترجمته المخطوطة : « ومن مشايخه الشيخ المحقق أحمد بن عبداللطيف باجابر صاحب عندل، فلقد نال منه منالا عظيما، وعندما طلب منه التحكيم قال : أُحكِّمك في الكتاب والسنة، قال : إني لا أستطيع ذلك حيث إن أهل جهتي أهل

(١) عَنْدَل قرية من قرى وادي حضرموت تقع قريبا من مدينة حُريضة، وكلاهما من المدن الشهيرة في التاريخ .

(٢) المصدر السابق ص١٨ .

«شرجة» -أهل بداوة- وأهل زرع وجهل، فحكّمني على ما استطعتُ منها، فحكَّمه على ما استطاع من الكتاب والسنة[1] .

الشَّيخُ عَبْدُالغَفَّارِ بانَافِع

وهو من بلاد يشبم الصالحين، خَصَّ الشيخَ عبيداً بنظره ورعايته منذ كان في صباه، وكان يتفرَّس فيه النجابة والولاية، ذكر ذلك مترجِمه في ص٢٣ عند ذكر بعض أحواله في صباه وشبابه، فمن ذلك قوله : وكان - أي: الشيخ عبيد - في بدايات أمره يدخل بالحطب على رأسه إلى ميدان القرية، فرآه يوما السلطان صلاح بن باقب وعنده الفقيه عبد الغفار بانافع، فقال : يا فقيه عبد الغفار ألا ترى إلى ولد الفقيه عبدالملك يفعل هكذا، شمت بأبيه وأهله وأوهنهم، يحتاج إلى أدب، فقال الشيخ عبدالغفار: يا صلاح هذا يكون له شأن عظيم، وإن سلمنا نحن وأنت عشنا في بركته، فحقق اللّه قول الفقيه عبد الغفار وصار هو والسلطان صلاح وأهل الجهات المشرق والمغرب في بركته .

---

(١) المصدر السابق ص٢٣ .

قال المترجم : وإنما جاهد نفسه – أي: الشيخ عبيد – بهذه الأحوال، حيث إن الدولة وأهل الجهة متعلقين به في ولاية القضاء، وكان طريقه الخمول أول عمره وآخره، ثم أعذروه من القضاء فتبتَّل في العبادة، ثم نزع في الرحلة لطلب التحكيم[1].

الشَّيخُ عَبْدُالرَّحمَنِ بنُ أحمدَ باعَبَّاد

وَصَفَهُ صاحبُ الترجمة المخطوطة بما مثاله : الشيخ الكبير السالك الناسك المجاهد الزاهد بقية عباد اللّه العباد الزاهدين وكان رحمة للعالمين وجيه الدين عبد الرحمن بن أحمد عباد [2]، ارتبط به الشيخ عبيد خلال تردده على غرفة باعبَّاد، وانتفع به ونال منه الإجازات والإلباسات وصدق المودة، وكان شيخا جليلا وقدوة يقتدى به.

كتب صاحب الترجمة عن علاقتهما ما مثاله : حصل له – أي : الشيخ عبيد مع الشيخ عبد الرحمن المذكور – مجالس كريمة وعنايات قديمة، ظهر منها على الشيخ عبيد صفاء المحبة والألفة الشافية، فكان يقيم عنده الشهر والشهرين والثلاثة مع وجود شيخه

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق ص٥٨.

الشيخ ربيع، وكانت الأوقات تعبِّر عن أتم الحالات وأسعد السعادات باتفاق الأحبة من غير أشتات .

كانت خواطرهم جميعاً تنبي بأحوالهم فتجيءُ كأنها عن قلب واحد، وذلك باتفاق الأحوال وصفاء المحبة والوداد، وكان دَأَب هذا الشيخ – أي : الشيخ عبدالرحمن باعباد – الطاعةَ والمجاهدةَ في أنواع العبادات والرواتب والأوراد والدعاء لعامة المسلمين والرغبة في خواصهم، مؤثراً الخمول صائماً قائماً الوقتَ كلَّه، حتى قيل له في ذلك، فقال رضي اللّه عنه : أقول لنفسي مقرباً عليها المسافة : اصْبِري يا نفس اليوم، فما أدري ما يكون الليلة، وقومي الليلة فما أدري ما يكون غداً، فعاش على هذا معتكفاً حابساً نفسَه في المسجد على التلاوة والأذكار والأوراد حتى كان له شأن عظيم (١) .

---

(١) كان أخذه وانتفاعه بجملة من المشايخ المذكورين أثناء زيارته لتريم، وهو في طريقه إلى زيارة الشيخ أبي بكر بن سالم بعينات، ذكر ذلك في الترجمة المخطوطة أثناء ذكر دخول الشيخ عبيد إلى حضرموت بما مثاله : فأذن الشيخ ربيع بن عمر للشيخ عبيد بالسفر إلى حضرموت وقال : عساك تأخذ أنت وإخوانك طوفة في حضرموت إلى عند الشيخ أبي بكر بن سالم بن عبد اللّه، وهو أول وقت ظهوره وشهرته، أعاد اللّه علينا من بركات الجميع، فسافروا بطن وادي حضرموت حتى أتوا تريم حماها اللّه وفيها أعيان من السادة الأشراف، مثل

الشَّيخُ أبوبكر بنُ سالم « صاحبُ عِينات »

كانت معرفة الشيخ عبيد بن عبدالملك بالشيخ أبي بكر بن سالم قديمةَ العهد، وذلك قبل ظهور واشتهار الشيخ أبي بكر، وإلى ذلك أشارت الترجمة المخطوطة ص٢٥ حيث إن الشيخ عبيداً كان يتردد على حضرموت وخاصة في زيارة نبي اللّه هود كل عام برفقة شيخه ربيع بن عمر وكان الشيخ أبوبكر بن سالم في ذلك الوقت في حال الخمول.

ولما برز الشيخ أبوبكر بن سالم وكبر حاله ومقامه وأيضا كبر حال الشيخ عبيد في بلاده واشتهر تكررت زيارات الشيخ عبيد إلى الشيخ أبي بكر، وكانت زيارته الأولى بعد اشتهاره حاوية لجملة من الأصحاب ذكرها المترجم في سياق ترجمته بما مثاله :

الشيخ أحمد بن الحسين بن عبد اللّه العيدروس، والشيخ أحمد بن علوي باجحدب، والفقيه محمد بن حسن بن علي بن أبي بكر السكران، وغيرهم نفع اللّه بهم، والشيخ الكبير العارف باللّه الفقيه العالم العلامة في الطريقتين حسين بن عبد اللّه بافضل أعاد اللّه علينا من أسرار الجميع، فمكثوا في تريم لياليَ إلى أن دخل عليهم شهر رمضان وهم في أتم حال وأنعم بال، وكانت أسفاره رضي اللّه عنه تُحَفاً وطرفاً وأعياداً، لم يكن شيءٌ ألذَّ من أسفاره لأنه جماليٌّ محبوبٌ، زاده اللّه من فضله، ثم توجهوا من تريم إلى عند الشيخ الكبير أبي بكر بن سالم . اهـ .
المصدر السابق ص١٦.

بعد أن امتلأ قلب الشيخ عبيد بن عبدالملك بمحبة آل البيت النبوي القاطنين في حضرموت، رَحَلَ من يَشْبُمٍ ومعه مُحِبُّه ومريدُه الغزالي ابن عبد اللّه الغزالي وخادمه مرشد وسالم بن فاضل والحسن بن علي بلحاج باجفير، ونزلوا ببلدة الغرفة لدى شيخه الشيخ ربيع بن عمر، ومكث مدة بالغرفة لم يؤذن له بالسفر إلى حضرموت، لما يعلمه الشيخ ربيع من تردد خاطر الشيخ عبيد في السفر، ثم لما قَوِي الخاطر وصدق العزم أذن له وقال له : « عساك تأخذ أنت وإخوانك طوفة في حضرموت وتأخذون عن الشيخ أبي بكر بن سالم » .

فتوجه الشيخ عبيد بمن معه حتى دخلوا إلى تريم وفيها آنذاك أعيان من السادة الأشراف، مثل الشيخ أحمد بن الحسين بن عبداللّه العيدروس والشيخ أحمد بن علوي باجحدب والفقيه محمد بن حسن بن علي بن أبي بكر والشيخ الفقيه العالم العامل حسين بن عبد اللّه بافضل، فأخذ عنهم الشيخ عبيد ومن معه وارتبط بهم مدة إقامته في تريم ودخل عليهم شهر رمضان من ذلك العام وهم في أتم حال وأنعم بال بمدينة تريم ، وخلال شهر رمضان توجهوا إلى عينات واستقبلهم الشيخ أبوبكر بن سالم وأضافهم

إضافةً تليق بمقامهم، وحصل للشيخ عبيد بلقاء الشيخ أبي بكر تمامُ الأُنس والانشراح، وهي أول معرفةٍ به وأول اتفاقٍ لهما، وجَرَتْ بينهما المذاكرة جُلَّ يومهم ذلك إلى قرب العصر، ثم طلب الشيخ عبيد الإذن بالسفر له ولمن معه واستودعوا من الشيخ أبي بكر، فأذن لهم وسافروا قبل الإفطار .

وبعد سفرهم كأن أحداً من أهل الشيخ أبي بكر عاتبه على الإذن لهم بالسفر من غير أن يعزم عليهم للإفطار، فوقع في بال الشيخ أبي بكر من ذلك شيء، فرأى في تلك الليلة الشيخ عبدالقادر الجيلاني وطائفة من عباد اللّه الصالحين أتوه وقالوا : لا يكن عندك حرجٌ من سفر عبيد وأصحابه، فإن حاجتهم التي جاؤوا لها قد قُضيت وفوق ذلك زيادة، فكتب الشيخ أبوبكر بذلك إلى الشيخ ربيع بن عمر وبشَّره بالرؤيا ففرح بها الجميع واستبشروا .

وفي زيارة أخرى رَوَى أن الشيخ عبيدا نوى الإقامة بعينات ليكون قريباً من الشيخ أبي بكر بن سالم، فقال له الشيخ أبوبكر: « يا عبيد الزم أرضك تكن مصباحاً في ظلمة، وأما حضرموت فإنها غنية عن ضوئك »، فرحل إلى بلده فأحيا فيها الدين وعَمَرها بقراءة القرآن والعلم والرواتب والأوراد، حتى رحل إليه

الصالحون والعلماء من حضرموت ومن جهات اليمن ومن جميع جهات المشرق، فظهر في قريته أربعون عالماً وعُمرت فيها مساجد كثيرة[1].

وفي إحدى زيارات الشيخ عبيد إلى حضرموت بعد ظهوره واشتهاره التقى بالشيخ أبي بكر بن سالم في مدينة سيؤون، ذكر ذلك كتاب مناقب الشيخ معروف باجمال المسمى « مواهب الرؤوف » فقال : أخبرني الشيخ الصالح الولي عبيد بن عبدالملك بانافع اليشبمي قال : حصل عليّ مرضٌ شديدٌ في يدي فهتفتُ بسيدي الشيخ أبي بكر نفع اللّه به، فمَنَّ اللّه عليَّ بالعافية ببركاته، وتكلم في سيدي الشيخ وأثنى عليه كثيراً وقال : « إنه القطب صاحب الوقت » فقال له بعض من حضر : أشهد أنه القطب، فقال الشيخ عبيد : « أشهد أنه إمام الأقطاب » ، وكان ذلك في جمادى الأول عام ٩٨٦ في دار سيدي الشيخ أبي بكر بسيؤون، وكان الشيخ عبيد وصل في جمع كثير من المشايخ والفقراء من جهات اليمن ودثينة وأحور والظاهر وغيرهم لزيارة سيدي الشيخ

(١) المصدر السابق ص٢٣ بتصرف.

أبي بكر، وحصل له من التبجيل التام، وعم الجميع بالضيافة والإكرام، غمر اللّه الجميع بكرامته آمين [1] .

وفي الترجمة المخطوطة ذكر المترجم الرحلة الأخيرة التي التقى فيها الشيخ عبيد بالشيخ أبي بكر، وذكرها في حكاية طويلة حاوية على تفاصيل السفر بما مثاله : وروي أن الشيخ عبيدا في بعض أسفاره إلى عند الشيخ أبي بكر بن سالم وصل في مئتي جمل مع كثرة الخلق من آل الفقيه عمر بن سعيد صاحب امنجدة[2] وآل الكودي من أحور وآل بريك وغيرهم ممن يكثر عدهم حتى وصلوا إلى شبام ، وأرادوا غداءهم عند الفقيه سالم باصهي من صدقة شبام وهي بنظره في تلك المدة، فخرج إليهم باصهي وقال : ما يصلح لكم من هذا الوقف من حيث تدقيق الشرع، فقال الشيخ عبيد : سيروا بنا إلى تريس وتتغدوا هناك إن شاء اللّه، والفقيه سالم لم يخرج من الوقف معذب، فعزموا إلى تريس وعازمهم رجل من قرونها اسمه عوض باسلامة وأكرمهم جميعا، فقال له الشيخ عبيد :

---

(١) ((مواهب الرب الرؤوف في مناقب الشيخ معروف)) لمحمد بن عبدالرحمن بن سراج جمال مخطوط ص٨٥ .

(٢) قرية قريبة من مدينة لودر تقع في واد يسمى عزان ، وهو من أكبر الأودية ، وتأتي منابعه من أرض الدماني ناحية الأكواع، ويصب في أرض دثينة.

ما تريد منا لكرامتك فينا ؟ قال : ما أريد إلا « التجبرة » من الدولة، والتجبرة كأنها إسقاط العشور على بضاعاته، فقال له : إن شاء اللّه يجبرونك، وليس له – أي: الرجل – بالدولة خُلطة ولا معاشرة، فما وقع بعد أيام إلا والسلطان عمر بن بدر الكثيري طلب عوض باسلامة وقال له : ما تريد عِوض إكرامك للشيخ عبيد ومن معه ؟ قال : أريد التجبرة، فكتب له بذلك خطاً له ولعاقِبَتِه، ثم توجَّه سيدي لزيارة الشيخ أبي بكر بن سالم، وكان من عادة أهل البلدان يخرجون بعيالهم في لقاء الشيخ عبيد لشهرته عندهم ومحبتهم فيه، ويقولون : « العادة يا شيخ عبيد »، وعادته أنه يركِّض لهم بعض الجمال حتى ينتهوا إلى آخر المدينة ، وكان له جمل من أشهر الجمال وعليه رجل اسمه حيدرة المقهوي عبدٌ حبشيٌّ صالحٌ كان على مطبخ الشيخ، فركض بالجمل وعلى الجمل سلة فناجين القهوة نحو مئتي فنجان، فسقطت السلة وأحس بها ولم يمتلك الجمل من شدة الركض حتى فرغ الجمع من الركض، ورجع للسلة فوجد الفناجين لم يصبها شيء إلا واحدا كان في أسفل السلة، حتى دخلوا تريم في خمسة عشر طارا وخمسة عشر قصبة ؛ لأن سيدي صاحب فنّ في السماع، وأمر الحُداةَ أَنْ يزفُّوا بالسماع

في طرق مدينة تريم ولم يعترض أحدٌ من السادة على حال الشيخ، وكان الشيخ أبوبكر بن سالم يقول : مَن بشَّرني أَنَّ عُبيداً دخل تريم بالسماع أعطيتُه بعيراً بخِطامه بشارةً، ففطن بعض جلسائه فتقدم في « عِراض » -أي: استقبال- الشيخِ عبيدٍ إلى شبام، وسار معه إلى أن دخل تريم، وحين شاهد ما ذكره الشيخ أبوبكر بادر إليه وأعلمه أن الشيخ عبيداً دخل تريم بما ذكره، وكان مع الشيخ أبي بكر صبيغة أعطاها الرجلَ وأمر له بالبعير، ثم قدم الشيخ عبيد وتلقّاهم الشيخ أبوبكر ومن معهم، وكان مع الشيخ عبيد أخوه أحمد المكنون ابن عبدالملك والغزالي بن عبداللّه وعددٌ كثيرٌ من الصالحين، فعَمِلُوا سماعاً بحضرة الشيخ أبي بكر بن سالم حتى غاب الشيخ عبيد عن ظاهر الأمر وهكذا في الليلة الثانية، وكان مع الشيخ عبيد حُداةٌ يقال لهم « آل زيتون » من جردان يخدمون الشيخ ويعرفون قاعدة السماع، ولا يوجد أحدٌ أبلَغُ من أسلوبهم، وهم نافع بن فرحان وأولاده وكذا الشيخ الناسك أحمد بن عبدالملك، حادٍ عارفٌ قاعدةَ الحداء والسماع .

ولما كانوا في حال السماع نادى الشيخ أبوبكر خادمه : يا ملهوف هات القمقم، فجاء ملهوف بقمقم فيه نحو من صاعٍ ماءٍ

وردٍ، فقال : هات القمقم الكبير، فإنها ليلة عرسٍ، لا يخفى عطـرٌ بعد عروس .

وكان هذا آخر اجتـماع بين سيدي الشيخ أبي بكر والشـيخ عبيد، وفيه قال الشيخ أبوبكر لأخيه عقيل : إن عبيداً في الأوليـاء مثل يحيى بن زكريا في الأنبياء[1] .

وكان الشيخ عبيد يكاتب الشيخ أبا بكر ويواصله، ذكر ذلك في الترجمة المخطوطة ص٥٢ بقوله : وبينهما صلةٌ ومعانٍ لطيفـةٌ، ولا تنقطع بينهما المكاتبة والـمراسلة بالود الصادق، فإذا اجتـمعا رأيتَهما شيئاً واحداً .

كان هؤلاء أهم شيوخ الشيخ عبيد بن عبدالملك بانـافع، ولـه شيوخ آخرون ذكرتهم كتب التراجم ، ومنهم:

الشيخ أحمد بن الحسين بن عبد اللّـه العيـدروس ، والشـيخ أحمد بن علوي باجحدب ، والشيخ حسين بن عبد اللّه بافضـل، والفقيه محمد بن حسن بن علي بن أبي السكران.

(١) نقلاً عن الترجمة المخطوطة ص٢٥ بتصرف واختصار .

حضور الشيخ عبيد جنازة الشيخ أبي بكر

ورد في الترجمة المخطوطة ص٥٣ حول هذه المسألة ما مثاله :

رُوي أن الشيخ أبا بكر بن سالم أعطى سيدي الشيخَ عبيداً خاتمه وأخذ هو خاتم الشيخِ عبيد، وقال له : مَن سبق به الأجلُ سيسقط خاتمه من يد صاحبه، أَمارةً على موته، فلْيَحْضُرْ دَفْنَه، فكان سيدي أبوبكر هو الذي سبق به الأجل وسيدي عبيد حينها كان نازلاً إلى أحور، فسقط الخاتم من يد الشيخ عبيد في صلاة الضحى، فركب الشيخ عبيد على ناقلته وحملته القدرة الإلهية هو ورَدِيفُه ابن مرشد، وقال له: لا تَفتح عينيك، فلما كان في أثناء الطريق فتح مرشد عينيه فهتف عليه بقوله : عَمَى! فقال : يا سيدي! واحدة! فقال سيدي الشيخ عبيد : واحدة إلى ولد ولدك.

فوصلوا إلى عينات ووجد من حضر مرادهم يحملون سيدي الشيخ أبا بكر، فلم يقدروا حتى وصل سيدي الشيخ عبيد فقال : شلوا وقولوا : ((أربعة شلوا الجمل والجمل ما شلهم))، فهو أول من قالها.

ثم طهَّره وكفَّنه هو ومن معه حتى أنزلوه قبره، فكان سيدي الشيخ عبيد هو من تولى توسيده في القبر وفك العصابات منه وكشف على وجهه، فقال له الشيخ : مرحبا بصادق الوعد .

فيالها من بشارة، وطوبى لهذا الشيخ بما نال من سيدي الشيخ أبي بكر[1] .

ذكر بعض أحوال وكرامات الشيخ عبيد

رُوِيَ أنَّ الشيخَ عُبيداً كان صاحبَ أحوال وكرامات عظيمة، وهي مظهر من مظاهر كرم المولى على خواص عباده، وقد جمع الشيخ الحسن بلحاج باجفير نَبذَةً من هذه الأحوال ومظاهر الكرامة على الشيخ في ترجمته المخطوطة، منها : أنه – أي: الشيخ عبيد – على عودته من عينات إلى بلده أظهر اللّه عليه عنوان الاتصال بالرجال، والانتساب لأهل الكمال، حتى كانت مناماته

(١) هذه الحكاية المشتملة على الكرامة الغريبة مثبتة في الترجمة المخطوطة ص٥٣ – ص٥٤ ، وقد ذكرناها كما هي مثبتة في النص ، ولم نقف على ما يؤيد صحة الحكاية في أخبار الشيخ أبي بكر بن سالم المتوفرة لدينا ، ولا يستبعد ذلك ، ففضل اللّه واسع لعباده الصالحين.

مثل فلق الصبح، فقد روي أنهم عبروا على جملة من المدن والقرى حتى بلغوا أطراف شبوة، فناموا جُلَّ يومهم، ونام الشيخ عبيد في ظل شجرةٍ فرأى في منامه طوائفَ عبادِ اللّه من الأولياء والصالحين أتوه من جميع الجهات، وأول من جاءه كان من أولياء رخية، ثم من وادي دهر، ثم من أهل الكسر وأهل هَيْنَن، وأهل باوزير، ومن حوره، وآل باجابر وآل وادي عَمد وآل حريضة وآل باحفص وآل المعلم وآل العفيف من الهجرين، وكل أولياء دوعن، ثم جاء الشيخ الكبير سعيد بن عيسى العمودي في جمعٍ كبيرٍ، ثم جاء الفقيه محمد بن علي باعلوي، ثم جاء أهل شبام ومقدمتهم الشيخ عبد اللّه بن محمد باعباد في جمعٍ كثيرٍ، ثم أقبل عليه سوادٌ عظيمٌ وجمعٌ كبيرٌ سدَّ الأفق، فقال : قلت : مَن هؤلاء ؟ فقالوا : هذا الشيخ عبد القادر الجيلاني وأهل العراق، حتى اجتمعوا الكلّ في ذلك المكان، قال : فقلت : نحن ضيفانٌ .

فأتونا بكرامةٍ بمأكولٍ من أحسن المأكولات ولم يُر له نظير في الدنيا، لأنه من الجنة، فأكلنا حتى قَضَينا وَطَرَنا منه، فأخذوه من عندنا واجتمع عليه من بقي، وأكلوا من فضلتنا، ثم جاؤوا لنا بشرابٍ في أباريق لها ألوانٌ عجيبةٌ، فأعطوني أحسنهم وأَعْطَوا

أصحابي من إبريق، واستودعنا منهم، وسافروا كلٌّ إلى جهته وانتبهتُ مسروراً، فيالها من بشرى ويالها من كرامة والحمد للّه رب العالمين[1] .

ومن لطيف أحواله ما أورده صاحب الترجمة المخطوطة ص٢٤ بقوله :

ورُوي أن الشيخ عبيدا نفع اللّه به أراد نساخة «شرح الحكم»[2] ولم يكن في فقرائه من يحسن الخط والكتابة في أول ظهوره، وكان عنده الفقيه العلامة حسين ابن أخيه عبد العليم والشيخ عبدالوهاب بن الحسين بن عبد الحق وربيع بن مرشد خادمه، فأخذ القلم وأعطاه ابن أخيه حسين بن عبد العليم وقال له : انته وربيع اكتبوا وخطوا مليح، فكان الأمر كذلك، وصار حسين ابن أخيه خطه أعجوبة الزمان حتى إنهم فاخروا به في مكة، وكذلك ربيع وقع خطه مليح، وحين أعطى الشيخ عبيد القلم لحسين ولد أخيه التفت إلى الشيخ عبد الوهاب وقال : بغيت معهما أو أنت من أهل «يا جدّي»، فأخذه الحياء لأن أهل عبد الحق غالب عليهم

(١) الترجمة المخطوطة ص١٧ .

(٢) هي حكم ابن عطاء الله السكندري.

«الشراجة»، أي: البداوة، حتى إنهم يقولون : نحن جدُّنا عبد الحق، وهذه الكلمة جرت من الشيخ عبيد لعبد الوهاب تربيةً لـه في حقه، لأنه من تلامذته حتى إن عبد الوهاب فهمها، وكان رجلاً صالحاً أخذ في السلوك، وله رياضاتٌ صالحةٌ، وبينه وبين حسين بن عبد العليم أُخُوَّةٌ واتصالٌ على طاعة اللّه(١) .

ومن لطيف أحواله ما ذكره صاحب الترجمة المخطوطة ص٢٥ بما مثاله :

ورُوي أن الفقيه علي بن عبد العليم كان في صغره قليلَ الفهم في القرآن، وأن عمه الشيخ عبيداً أدخله عند المعلم عبدالرحيم هو وأخاه حسينا، لأن سيدي عبيداً صار لهما وليّاً بعد وفاة أخيه عبدالعليم، فإنه مات وولده علي في مدة الحمل ثم تربوا في حجر الشيخ عبيد، فجلس عليٌّ بن عبد العليم سنةً كاملةً في العُلْمة ولم يفهم شيئا، فجاء المعلم إلى سيدي وقال له : إن الولد هذا لم يفهم، فإن الذين دخلوا معه قد رشدوا، فقال سيدي عبيد: جزّعه -أي تجاوز به- عند القراءة إلى سورة الطلاق، بنية أن الله يطلق لسانه ويفتح عليه، فجزعه وخَتم القرآنَ في سنة .

(١) المصدر السابق ص٢٣-٢٤ .

وكان فقراء الشيخ يحفظون القرآن بالغيب، فأراد الفقيه علي أن يغيب القرآن حفظاً مثلهم، فأمره عمه بقراءة الكتب، ولـ ـم يظهر عليه فهم في شيء، فجزعه – أي تجاوز به – إلى باب الطـ ـلاق في الفقه وأطلق اللّه عليه وفاق أهل الجهة علـ ـماً وورعاً[1] .

مظهر الشيخ عبيد في بلاد العوالق ونواحيها

ورد في ترجمة الشيخ عبيد المخطوطة ص٢٣ أن الشيخ عبيد بن عبدالملك لـ ـما أراد الإقامة عند الشيخ أبي بكر بن سالـ ـم بعينات، قال له الشيخ أبوبكر : يا عبيد، اِلْزَمْ أرضَك تكـ ـن مصـ ـباحا في ظلـ ـمة الليل، وأما حضرموت فإنها غنية عن ضوئك. قال: فرحل إلى بلده فأحيا فيها الدين وعمرها بقراءة القرآن والعلـ ـم والرواتب والأوراد، حتى رحل إليه الصالحون والعلـ ـماء من حضرموت ومن

(١) يبدو أن هذه المسألة ترجع للتجربة وحسن النية في المقصود في سورة الطـ ـلاق، وكما ذكر المؤلف أن الشيخ أمر أحد الفقراء أن يتجاوز القراءة من آخر القرآن إلى سورة الطلاق بنية أن الله يطلق لسانه ويفتح عليه.. ففعل الرجل وحصل لـ ـه المقصود.

جهات اليمن ومن جميع جهات المشرق، وظهر في قريته أربع ون عال ماً وعُمرت فيها مساجد كثيرة .

وقد ورد في نص أوراق الشيخ أبي نجمة بانافع ما يفيد أنه ل ما ظهر الشيخ عبيد في يشبم وكانت عاصمة السلطنة أقبل تْ علي ه القبائل وعظموه وهابوه، وصاروا يترددون عليه ليلاً ونهاراً أفواجاً بعد أفواج، يقضي حاجاتِهم ويصلح ذاتَ بينهم ويجمع قل وبهم، وقل تردد الناس على السلطان صلاح بن باق ب واس تغنوا ع ن الدخول إليه بمظهر الشيخ عبيد، فجاء السلطان صلاح إلى الش يخ عبيد وقال له : لا يجت مع سيفان في جَفِير، ونقل سلطنته من يشبم إلى نصاب .

ومن حينها أصبحت نصاب عاصمة سلاطين العوالق، وبرز نجم الشيخ عبيد في يشبم وما حولها حتى ذاعَ صيته في أط راف ب لاد العوالق وصار له التلامذة وال مريدون، ومنهم الشيخ أبوبكر ب ن علي بن الشيخ أبي بكر بن نافع صاحب قرية الحيق ناحية المحف د، تُوفي في شهر شوال سنة ٩١٣ وقبره بالحيق معروفٌ، ويسمى أيضا الحاق.

قال في نص الترجمة المخطوطة ص٣٩ : وقد حَـوَّطَ حُوطتـه بالحيق سيدي الشيخ عبيد بن عبدالملك، وهي حوطة معروفـة[1]، وقيل له في ذلك : لِـمَ لَـمْ تحوِّطْ بلدك يشبم ؟ فقال : إني لـم أُحوِّطها لأن بها قبائلُ لا يحترمون الحوطة، ويشبم أرض كافرية من قديم الزمان، وواليها في الجاهلية يسمى ((كحيل)) لـ . ـم يحتـرم أحد، وخشيت أن أحوطها ويقلّ احترامها، ولكني إن شـاء اللّـه بأسكن فيها، وأنا فيهم كالسيف القاطع والسم الناقع، ولا يظفـر من لـم يحترمها، وإني كالنار في الدَّمَان –أي السرجين– إن لـم تحصل الغارة في الثـمان، وحرّمتُ على أولاد أخي عبد العلـيم: الصلح، والسيارة، ومدخل دثينة إلا عابر السبيل، أو بإشارة مـني بعد الاستخارة رؤيا أو غيرها، ومن حَلَّ من سوم حيدر الـذي في

(١) الحوطة جمعها حوط، وهي حدود معينة يتفق عليها أهل الحل والعقد ويمنع فيهـا الاعتداء ويأمن فيها القبائل والدول على أنفسهم وأموالهم وتجاراتهم تحت جاه أهل الجاه من المشايخ أو السادة أو غيرهم من أهل المظهر أو الولاية أو المقامات المعتبرة في تلك المرحلة، وقد انتشرت هذه الحوط في كثير من البلاد وأسهمت في نـزع السلاح والتعايش السلـمي بين أولي النـزعات والثأرات في سبيل النفع العـام وتقديم مصلحة الأمة على مصالح الأفراد.

وسط قرية يشبم من آل بانافع، فأنا خَلِيّ بريءٌ ممن فعل واحدة من هذه الخصال [1].

تلاميذ الشيخ عبيد بن عبدالملك

اتسعتْ دائرة التلقي على يد الشيخ عبيد بعد ظهوره في ناحية بلاد العوالق، واشتهر صيته ووفد إليه المريدون من نواحي الأرض لطلب العلم وأخذ الطريق والتبرك بالارتباط به، فكان لهم كالغيث المخصب، فاتحاً قلبَه وبيتَه، ومفنياً وقتَه في نشر الدعوة إلى اللّه وتعليم الجهال وتفقيه المريدين.

(١) المصدر السابق ص٤٠ ، وهذا من اختيارات الشيخ عبيد لحفظ كرامة بني أخيه الأيتام من تجاوزات البداوة أو دخولهم في شؤون المنازعات القبلية، فمنعهم عن ممارسة أسباب الجاهات كالصلح والسيارة ليشغلهم بالعلم وبالدعوة إلى الله.

وكذلك الدخول إلى مواقع الشهرة كدثينة التي كان فيها الشيخ عبيد مشهورا، ومنها تجبى لمقامه الأموال الكثيرة ، ومثل ذلك ما حدده الشيخ من سوم حيدر، وهي حدود متعارف عليها في منطقة يشبم من أرض العوالق يحذرهم من الدخول إليها باسم الجاهات أو طلب الشهرة والمقام.

وقد ورد أن الشيخ أبا بكر بن سالم أرسل إليه تلميذَه الناسكَ السيدَ يوسفَ بنَ عابدِ الحَسَني المغربي لزيارته والاطلاع على أحواله وأحوال تلاميذه في يشبم، وَرَدَ ذلك في الترجمة المخطوطة ص٢٨ بما مثاله :

وروي أن السيد الجليل العارف باللّه يوسف بن عمر الفاسي الحسني المتوطن ببلد مَرْيَمَة أحدَ تلامذة الشيخ أبي بكر بن سالم أمره الشيخ أبوبكر أن يخرج إلى يشبم لزيارة الشيخ عبيد، فوصل إلى عند سيدي عبيد كما أمره شيخه، وكانوا في تلك السنة مُجْدِبِين، فاجتمعوا وخرجوا وأهلُ البلدة لزيارة والد سيدي عبيد، وكانوا مُجْدِبين، وقد تضرروا بذلك مدةً طويلةً، فطلبوا من الشيخ عبيد أن يستسقيَ بهم فأحالهم على السيد يوسف المذكور، فلزموه وأَلَحُّوا عليه وقالوا : يا سيدنا حَوِّلْ بالسيل وإلا رميناك في هذا الشجر -شجرٌ له شوك- وفي « المجنّة » -أي : المقبرة- فخاف السيد من رميِه في الشجر وقولِهم له : « رميناك » على سبيل الانبساط، فقال: الفاتحة يا شيخ عبيد بالرحمة، فقرؤوا الفاتحة، فدعا لهم السيد بالغيث، فارتحمت الجهة كلها .

ومن أجلِّ تلاميذه نخبةٌ ذُكِرُوا في الترجمة المخطوطة، ومنهم :

١- الغزالي ابن عبد اللّه الغزالي.

وصفه صاحب الترجمة المخطوطة ص١٩ بقوله : ومن أتم وأحسنِ وأكملِ ما مَنَّ اللّه به على سيدي وحبيبي بأخيه وحبيبه ومحبوبه ومريده الفاني الصادق أعجوبة الزمان وريحانة الإخوان العبد الصالح الناصح المحبوب الموهوب السالك الناسك غريب الزمان ومستوفي طالع الإحسان أخص خواص المحبين وعون عباد اللّه الصالحين جمال الدنيا والدين محمد الغزالي ابن عبد اللّه الغزالي، أكرمه اللّه بما أكرم به عباده الصالحين الخدام الصادقين، فكان له عوناً ومعيناً، وكان هارونَه وعونَه وصديقَه، وهو كما قال قائلهم :

وإذا صَفا لَكَ في زَمانِكَ واحِدٌ ... نِعْمَ الزَّمانُ ونِعْمَ ذاكَ الواحِدُ

ولهما نصيبٌ وسهمٌ وافرٌ من قول الحق جل جلاله : ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بأَخِيكَ ونَجْعَلُ لَكما سُلْطاناً فلا يَصِلُونَ إليكما بآياتنا أنتما ومَنِ اتَّبَعَكُما الغَالِبُون ﴾، فلقد واللّه شَدَّ عَضُدَه وأَيَّدَه وبذل الروح في كل ما يريح، وسَعَى سَعْيَ الكرام عبوديةً وفتوةً، حتى كان لا يرى لنفسه شيئا، ولا لحاله وجسمه، فأقام في مقام الفناء والمحبة الصادقة الخاصة، فكانت سفينته في بحر المحبة جارية، شاحنة من جميع الفوائد العاجلة والآتية، متوجهة إلى قَدَر

السلامة، وموعد الرضا والكرامة، إلى بين يدي الحق في دار الكرامة والمقامة.

ولقد عطَّر القُطر أينما دحقتْ قدمُه الصادقة، ولا للشيطان وجنودِه عليه سبيلٌ، فكانت أسفارُه مع إخوانه على أتم الطاعات والمجاهدات، مراعياً لأصحابه على الصلوات وحفظ الأوقات وتلاوة سورة ياسين، فهم في خيرٍ وعافيةٍ، وأيام من كدورات الزمان صافية، تمم اللّه ذلك، وزادهم من فضله وإحسانه أضعاف أضعاف ذلك، وحقَّق لي محبتهم داخلاً فيهم غيرَ خارج، والحمد للّه الذي أظهر لنا هذا الوجود العزيز ظهور الشمس الضاحية، فنحن بأسرارهم مستمدين، وبأعلامهم العالية مهتدين.

٢- ذرية ابن أخيه الفقيه علي بن عبد العليم بن عبدالملك.

وهم حسين بن عبد العليم وعلي بن عبد العليم، اعتنى بهما الشيخ عبيد غاية الاعتناء، وصار لهما ولياً بعد وفاة أخيه عبدالعليم، فإنه مات وولده علي في مدة الحمل، وتَرَبَّيَا في حِجْرِ الشيخ عبيدٍ تربيةً صالحةً، ورد في الترجمة ص٢٠ : وأما ذرية ابن أخيه الفقيه علي بن عبد العليم بن عبدالملك فلهم الشأنُ الرفيع والقَدْرُ المنيع والجاهُ الوسيع، ببركة سيدي عبيد، فعندي لهم حكاية سمعتها من في

سيدي ينهاهم عنها، فمن جملة ما نهاهم سمعتُه مشافهةً يقول: من توجه إلى دثينة من آل عبدالملك لغير غرضٍ شرعيٍّ أو أمرٍ مِنيٍّ أو عَبَر السيير [1] أو شلّ الصلح[2] أو حَلّ من سوم حيدر وداخل فأنا خَلِيٌّ بريءٌ منه حتى يرجعَ عمّا هو فيه[3] .

وكان الشيخ عبيد لا يرغب في أن يتصرف أولاد أخيه تحت جاهه ومظهره إلا بعلمه وأخذ رأيه في ذلك، خشيةَ أن يقع بسبب ذلك ما لا تُحمد عقباه .

٣- أحمد بن عبدالملك الملقب بالمكنون :

انتفع بأخيه الشيخ عبيد، وصحبه في بعض رحلاته إلى حضرموت، وأخذ عن الشيخ أبي بكر بن سالم، وكان معيناً لأخيه الشيخ عبيد في شؤون دينه ودنياه [4].

---

(١) قوله : ((عَبَرَ السيير))، أي : اشتغل بأخذ الأجرة في سبيل إمرار القوافل والمسافرين تحت جاه الشيخ عبيد .

(٢) قوله : ((أو شل الصلح)) أي : دخل بين القبائل المتحاربة وفَرَضَ شروط الصلح.

(٣) المصدر السابق ص٢٠.

(٤) ذكر صاحب الترجمة المخطوطة رحلته إلى حضرموت وحضور مجالس الشيخ أبي بكر بن سالم ص٢٧.

٤- عبد الوهاب بن الحسن بن عبد الحق :

انتفع بالشيخ عبيد وصدق في صحبته والأخذ عنه، قال عنه صاحب الترجمة المخطوطة ص٢٤ : وكان رجلاً صالحاً أخذ في السلوك، وله رياضاتٌ صالحةٌ، وبينه وبين حسين بن عبد العليم أُخُوَّةُ اتصالٍ على طاعة اللّه . انتهى .

٥- الحسن بن علي بلحاج باجفير :

وهو من خواص أصحاب الشيخ عبيد والآخذين عنه والمنطوين فيه، وهو الذي جمع فوائد ترجمة الشيخ عبيد ودوَّنها لمن بعده، برغم ما تعرض له من النهي والأدب عندما حرص على جمع مناقب شيخه .

ورد في نص الترجمة ص٩ ما مثاله : وهذه المناقب مما جمعه الفقيه الشهيد الصالح الحسن بن علي بن أحمد بن عمر الحاج باجفير، صاحب قرية « منيف »، وهو من أجل تلامذة الشيخ عبيد بن عبدالملك بانافع، جمع لسيدنا عبيد جملة مناقب أول مرة وثانية وثالثة، وكل مرة وسيدنا الشيخ عبيد كلما علم بما جمعه يطلبها منه ويمحوها ونهاه أن لا يعود لجمع شيء، فلما تكرر منه مراراً قال له : إن لم تنتهِ بالحسنى وإلا ينزل اللّه عليك نازلة

فتهلك، لأني أرجو أن ألقى اللّه بإناء ملآن مثل الفقيه أحمد بن موسى بن عجيل، فلم ينتهِ الحسن ثم خرج مرة إلى قرية منيف بوادي يشبم ونزلت به صاعقة ومات منها، فلما سمع الشيخ عبيد الرعد والصاعقة قال لأصحابه: هلموا بنا نخرج إلى جنازة أخينا في اللّه الحسن بن علي فقد مات شهيداً بعد أن حَيِيَ سعيداً[1].

٦- ربيع بن مرشد:

وهو خادم الشيخ عبيد ومحبه ومريده ولزيمه حضراً وسفراً، كان الشيخ عبيد يحبه ويرعاه وخصه بمزيد النظر والاهتمام، بل جعله هو وابن أخيه حسين بن عبد العليم يشتغلان بتعليم الكتابة وتحسين الخط لنقل الكتب العلمية[2].

٧- نافع بن فرحان وأولاده « آل زيتون »:

أخذ الشيخ نافع وأولاده عن الشيخ عبيد، ولزما مجالسه وحضره وسفره، وكان الشيخ نافع وأولاده يشتغلون بالحداء والإنشاد والسماع في حضرة الشيخ عبيد، ورد ذلك في الترجمة المخطوطة بما

---

(١) المصدر السابق ص٢٤.

(٢) المصدر السابق.

مثاله : وكان مع سيدي عبيد حُداةٌ يقال لهم «آل زيتون» من جردان يخدمون الشيخ، وحداةٌ عارفون قاعدة السماع، ولا يوجد أحد أبلغ من أسلوبهم في السماع، وهم نافع بن فرحان وأولاده[1].

٨- أحمد بن عبد الهادي بلجفار :

وهو من مشايخ أحور الذين أخذوا عن الشيخ عبيد وتأثروا به، ورد ذكره في الترجمة ص٣٢ بما مثاله : وروي أن الشيخ الكبير أحمد بن عبدالهادي بلجفار كان من تلامذة سيدي الشيخ عبيد بن عبدالملك، وكان كثيراً ما يختلف إليه آخر عمره كل عام في رمضان ويحضر ختم ليلة سبع وعشرين في مسجد الشيخ عبيد، وكثيراً ما يجيءُ في هذه الليلة جماعةٌ من زوايا أبين وأحور، وكان الشيخ جنيد بن عبد الهادي أخو الشيخ أحمد ينكر عليه اختلافه إلى الشيخ عبيد، فشقَّ ذلك على الشيخ أحمد حتى وصل في بعض أسفاره إلى الشيخ عبيد، فقال له الشيخ عبيد : أنت يا شيخ أحمد حريص على محبتنا، وهذا أخوك الجنيد يجينا، وما أدري نقبله أم لا؟ فلا يحصل عندك من ذلك الأمر شيء، فكان الأمر كذلك، ففي آخر عمر الجنيد بن عبد الهادي وصل لزيارة الشيخ عبيد وهو يقول: جئتُ

(١) المصدر السابق ص٢٧.

وادعُ اللّه لي بالقبول، فقال له الشيخ عبيد : إن شاء اللّه مقبول يا شيخ جنيد .

وحكي أنه لما مات الشيخ عبيد وبلغ خبره إلى الشيخ أحمد بن عبد الهادي تأوَّه واسترجع وحمد اللّه تعالى ثم قال : لقد عَظُمَتْ مصيبةُ سيدي الشيخ على أمة محمد عليه الصلاة والسلام عامة .

وتوفي الشيخ أحمد بن عبد الهادي عقب الشيخ عبيد بسنتين[1] .

---

(١) ورد في الترجمة المخطوطة ص٤٢ : وروي أن سيدي أحمد بن عبدالهادي بلجفار كان سبب اتصاله بسيدي الشيخ عبيد أنه كان هو وأخوه الجنيد في بُدُوِّ أمرِهما غيرَ محسنينِ الظنَّ في سيدي الشيخ عبيد ومكذبين ولايته، فلما كان بعد مدة من الزمان حصل بين الشيخ أحمد عبدالهادي وفقير الحبيب جمال الدين مشاجرة حتى وصلوا إلى باب الدولة، وطال نزاعهما حتى عجز أهل أحور عن مصالحتهما، فأرسلهم والي أحور إلى والي صنعاء، وفي ذلك الزمان كان ولاة أحور زيدية، فحبسهم والي صنعاء سبع سنين، ولم يتجاسر أحد أن يشفع فيهم ولكن الجماعة في الحبس تصالحوا بينهم وأرادوا الخروج من السجن، ولم يمكن لهم، فاستغاثوا بأولياء اللّه ولم يزالوا كذلك حتى كانت ليلة التروية المسماة عندنا بالحج الصغير، فقال الشيخ أحمد لفقير جمال الدين : إنا نسمع أن الشيخ عبيد شيخ وقته، والآن بانستغيث به لعل اللّه أن يفرج علينا ببركته، ففعلوا، وعندما سكتوا ألهم اللّه صاحب السجن فقال لهم : أنا الليلة با أسير عند عيالي وبا آتيكم في الصباح، وطمس اللّه على قلبه فترك باب السجن مفتوحا، وكان في

السجن بضعٌ وسبعون نفراً مقيدين بالقيود، فألهم اللّه المسجونين معالجة القيود فانفكت بقدرة اللّه تعالى وخرجوا من السجن هاربين، وكان من أمر الرجلين الشيخ أحمد ورفيقه أن خرجوا إلى خارج مدينة صنعاء وواصلوا السير ليلهم ونهارهم مسرعين، وطوى اللّه لهم الأرض بقدرته حتى وصلوا ((جول المعابر)) بوادي ضِيقة ولم يعلموا بذلك ظانين أنهم لا زالوا في حدود صنعاء وما حولها، وأخذوا بعض الراحة وناموا، وما شعروا إلا بمن يناديهم : قوموا، عيدوا عند أهلكم إن أردتم عندهم، فإن هذا المكان جول المعابر في ضيقة، والطريق قد شرقتوا منها، فقاموا مرعوبين، فإذا رجلين سائرين في الطريق، فدعا عليهما الشيخ أحمد وسألهما عن المكان فأخبروه، قال لهم : وإلى أين أنتم متوجهين ؟ قالوا : إلى أحور، فبقيا يتحادثان الشيخ أحمد ورفيقه، فمنهم من أراد الرجوع لزيارة الشيخ عبيد ومنهم من أراد النزول إلى أحور، أما الشيخ أحمد فجد عزمه على زيارة الشيخ عبيد فسار حتى وصل ((نجد لبيح))، ثم طوى اللّه المسافة حتى رأس نجد، وهو معبر بجانب المزارع القريبة من يشبم بلد الشيخ عبيد، فاستراح ونام حتى صبح يوم العيد .

فدخل سعيد بن جابر الملاحي لصلاة العيد فوجد الشيخ أحمد كالنائم، فبهت وتركه وذهب للصلاة مع سيدي الشيخ عبيد، وعند انصرافهم أخبره الملاحي بخبر الرجل، فقال الشيخ عبيد : قوموا بنا بانعارضه، فهو الشيخ أحمد بن عبدالهادي، أتانا زائر، فخرجوا بالطيران والشباب حتى وصلوا إلى أسفل النجد، فقام الشيخ أحمد والتقى بالشيخ عبيد وتعانقا، ودخلوا بالشيخ أحمد إلى بيت الشيخ عبيد، وصارت عادة عند آل بانافع، فكل من دخل في المنصبة من آل الشيخ أحمد عليه زيارة للشيخ عبيد وآل بانافع يعارضونه بالطيران والشبابة إلى أسفل نجد معبر، وزار الشيخ أحمد وتغدى، ثم قال الشيخ عبيد للشيخ أحمد : يا شيخ، تريد تعيّد

٩- ثابت بن محمد بن عبد الصمد :

وهو من الرجال الذين انتفعوا بصحبة الشيخ عبيد وكانوا تحت نظره ورعايته، ذكره صاحب الترجمة المخطوطة ص٤١ فقال : وروي أن الشيخ الصالح الناصح العارف باللّه ثابت بن عبد الصمد سالكٌ ناسكٌ متبتِّلٌ من صغره، يقوم الليل ويصوم النهار، ملازمٌ للخلوة والاعتزال عن الناس خصوصاً بعد موت سيدي الشيخ عبيد، فكان يختلي في الجبال والأودية، حتى إنه صار إلى حَدٍّ لا يوصف في الفرار من الناس، فربما كان إذا رأى الناس شرد منهم، فإذا طلبه إنسانٌ تغيَّب منه وإلا اعتذر إليه .

وكان ذا قدمٍ راسخٍ في العلم، تفقَّه على سيدي الشيخ حسين بن عبد العليم، وفي كتب القوم على سيدي الشيخ أحمد بن عبدالملك، وكان يصلي الليل في مسجد الحوطة حق سيدنا الشيخ

عندنا أو تريد عند أهلك، فقال الشيخ أحمد : عيالي بعيد، فأمره الشيخ عبيد أن يتوجه من ساعته، وطوى اللّه له الطريق فبات عند أهله .

وأما الشيخ عبدالرحيم فقير جمال الدين فأخبره الشيخ عبيد أنه ضائع في طريقه ووقع به الرمد في عيونه، ولا يزال في ولد ولده إلى أبد الآباد، فعند وصول الشيخ أحمد إلى أهله أخبرهم بخبره، فساروا يدورون له، حتى وجدوه في ((الحمر))، وهو وادي من أودية قبيلة باكازم، فأعادوه إلى أحور .

عبيد بن عبدالملك، فيُسمع للمسجد دويٌّ كدويِّ النوب، وقد سمعت أنه فُتح عليه في المسجد المذكور .

١٠- الشيخ عبد اللّه بن عبد اللّه بامخيرم :

وهو من صالحي تلامذة الشيخ عبيد ومن أهل المجاهدات، وكانت بينه وبين الشيخ ثابت بن عبد الصمد أخوة وصحبة، ورد ذلك في الترجمة ص٤٢ بما مثاله:

وروي أن الشيخين الجليلين ثابت بن محمد بن عبد الصمد الخطيب والشيخ عبد اللّه بن عبداللّه بامخيرم، كان بينهما صحبة وأخوة في اللّه على طاعة اللّه، فحكي أنه كان لهم في كل يوم بعد يوم ختمة من القرآن، لأن الشيخ عبد اللّه بامخيرم جاور في مكة سبع سنين حتى حفظ القرآن حفظاً أكيداً، ومكثا على ذلك خمسة عشر سنة، وكان مسكن الشيخ عبد اللّه بامخيرم بعطفة وادي يشبم يسمى « خربان »، وكان الشيخ ثابت بن محمد يذهب إلى عند الشيخ عبد اللّه لأن الشيخ عبد اللّه بامخيرم ابتُلِيَ بالجذام، وإنما أصاب الجذامُ أطرافَ أصابع يديه ورجليه، وبدنه الباقي يتلألأ نوراً كأنه سبيكة فضة، ولما كان الشيخ عبد اللّه مجاوراً بمكة رَحَلَ له أخوه الصالح محمد بامخيرم وأتى به إلى المكان المعروف بـ «خربان»،

وقام به المقام التام معظماً له ومعتقداً فيه جدّاً ومحترماً له، وهو – أي : الشيخ عبد اللّه – متبتِّلٌ إلى اللّه مشتغلٌ بالطاعة حتى مات ودفن بالصعيد عند قبر الشيخ عبيد بن نافع أخي الشيخ عبدالرحيم بن نافع صاحب أحور.

١١– الشيخ سالم باقطيان:

وهو من المشايخ الذين أخذوا عن الشيخ عبيد وعن الشيخ ربيع بن عمر، ذكره صاحب المناقب ص٣٥ بقوله : والشيخ باقطيان من خواص الشيخ ربيع والشيخ عبيد، وله ملازماتٌ معهم ومجالسُ عظيمةٌ مشهورة .

١٢– الشيخ سالم بن فاضل :

أحد المتلقين عن الشيخ عبيد، والموصوفين بالصلاح، من جملة أتباعه، رحل مع الشيخ عبيد إلى حضرموت في رحلته التي زار فيها الشيخ أبا بكر بن سالم، وأخذ عنه كما أخذ عن جملة من شيوخ تريم في تلك الرحلة[١] .

---

(١) المصدر السابق ص١٥ .

١٣- الشيخ سلامة بن مسعود :

انتفع بالشيخ عبيد وانطوى فيه حتى صار من جملة الفقراء المنسوبين إليه، ورد ذكره في المناقب ص٢٩ بما مثاله : وروي أن الولي الشيخ الناصح الغزالي بن عبد اللّه كان يسعى لجمع مال للشيخ عبيد بأرض دثينة وأحور ونواحيهما، ولهم اعتقاد في الشيخ عبيد، فاتفق أن سافر الغزالي في بعض السنين ومعه سلامة بن مسعود من فقراء الشيخ عبيد يعينه ويخدمه، فلما وصل إلى دثينة أوهجت الناس عليه – أي : التفتوا إليه وأحسنوا استقباله – حتى انتظم حاله معهم وجمع من الأموال شيئاً كثيراً من البضائع والطعام والجمال وجميع أنواع النعم، ومن الطعام ما فاق على حمول مائتي جمل، فعندما عزم الشيخ الغزالي على الرجوع إلى شيخه وقد سار من دثينة قَدْر نصف مرحلة تفكَّر في نفسه من حيث الورع بأن هذه أموال الناس أخذناها ولم نعلم مرادهم بذلك وجه اللّه أو غير ذلك ؟ وهل يقبله شيخه أم لا ؟ فإن قَبِلَه فذاك وإن لم يقبله فكيف يمكن مخارجة البعض من البعض في الطعام وأعيان البضائع ورَدّ كل ذي حق حقه ؟ واحتكم هذا الحال في قلبه ولم يعلم بما في الضمير إلا المولى .

ثـ ـم إنه أرسل من وقته ذاك رجلا يقال له سلامة بن مسـ ـعود، وهو من فقراء الشيخ عبيد، وكان معه معونةٌ على السير، فأرسـ ـله إلى سيدي الشيخ وسلـ ـم عليه وأعلـ ـمه بوصولنا إليه، فعزم الرجل اليوم الأول ووصل العصر في اليوم الثاني، فعندما دخل على سيدي قال قبل أن يسلـ ـم عليه : مرحباً يا سلامة، أرسلك الغزالي لـ ـما عَظُمَ عليه الأمرُ فيما جمعه، فارجع وسَلـ ـم عليه وقل له : الـ ـذي معه للخلق يبغونه للحق ونحن إن شاء اللّه نوصله إلى الحق فمرحباً بالغزالي، ثـ ـم سلـ ـم سلامة على الشيخ وأعلـ ـمه برحلة الغـ ـزالي وإرساله إليه وأعطاه سيدي ثوبه الذي عليه بشارة بـ ـالغزالي، ورده راجعاً إليه، فلـ ـما كان في اليوم الثالث في أثنـ ـاء الطريـ ـق اتفـ ـق بالغزالي وأعلـ ـمه بما قال له شيخه، فحمد اللّه سبحانه وتعالى .

١٤- الشيخ أحمد الرفاعي ابن ربيع :

وهو ابن الشيخ ربيع بن عمر المتقدم ذكره مع مشايخ المتـ ـرجم له، ورد ذكره في المناقب المخطوطة خلال حكاية جرت للشـ ـيخ عبيد، وهذا مثالها :

وروي أن سيدي الشيخ عبيد كان يزور قـ ـبر والـ ـده الفقيـ ـه عبدالملك في كل جمعة ويجلس عند سمرة هناك، وإلى جانب السمرة

مسجد فيه قبر السلطان صلاح بن باقب، فقال في بعض الأيام لأحمد الرفاعي ابن ربيع بن عمر ومن معه من الفقراء : إني أرى نوراً في هذا المكان، فقال الرفاعي : حاشا للّه يا عم ما يكون نور جوار قبر صلاح الظالم، فسكت الشيخ عبيد حتى الجمعة الثانية فزار ومن معه فقال : اُنظرْ.. ها هنا نورٌ، فقال الرفاعي مثل مقالته الأولى، وكان لا يتفهم المعنى من سيدي، فعندما قال ذلك أقبل عليه الشيخ وقبض بلحيةِ نفسه وقال : يا رفاعي تُكَذِّبُ هذه الشيبة ؟ وعِزَّةِ ربي وجلاله إِنَّ ها هنا نوراً يصعد إلى السماء إلى أركان العرش، فخلد الرفاعي من كلام الشيخ وتاب واستغفر.

ثم بعد مدة انتقل سيدي رحمه اللّه بعد صلاة العشاء ليلة الخامس والسادس والعشرين من شهر صفر الخير سنة ست بعد الألف، وعمر السلطان صالح بن نمي مسجداً عند قبره للصلاة، واختلفوا في قبره بأي مكان يكون، فبدا لهم أن يقبروه في مسجد القرية، فأبى اللّه إلا أن يتم نوره، فاتفق أمر السلطان وأخيه المكنى بالمكنون وابن أخيه عبد العليم أن يقبروه خارج البلد عند

الشجرة التي شهد صعودُ النور من عندها، ولقد صارت تربتُه مـ ـن آنسِ التُّرَب[1] .

١٥- المحب حيدرة المقهوي :

وهو عبدٌ حبشيٌّ صالحٌ كان يخدم الشيخ عبيداً وقائمـ ـاً علـ ـى مطبخه، وله تعلُّقٌ كبيرٌ بالشيخ عبيد، رحل معه إلى حضـ ـرموت، وجرت له حكاية تقدم ذكرها في كرامات الشيخ عبيد.

بقية ممن تعلق وأخذ عن الشيخ عبيد

ورد في نص المناقب المخطوطة إشارات مجملة لبعض العـ ـائلات الصالحة التي كان لها تعلقٌ وترددٌ على الشيخ عبيد، ومن أولئـ ـك

---

(١) المصدر السابق ص٢٨ .

المشايخ آل الشيخ سالم بأبين[١]، والمشايخ آل الكودي بأحور[٢]،

والهياثم[٣] في دثينة، وآل بلجفار بأحور[٤]، وقد رحل معهم عدد من هذه البيوت إلى حضرموت أثناء تردده على قراها ومدنها

---

(١) آل الشيخ سالم بأبين ينتسبون إلى الشيخ المحدث سالم بن محمد العامري صاحب قرية المسيجيد قريبا من الساحل بين أبين وشقرة، ترجم له في ((طبقات الخواص)) .

(٢) المشايخ آل الكودي قبيلة عريقة يسكنون بمنطقة المدرك قريبا من ساحل البحر بأحور، وينتمون إلى المشايخ آل الخامري الذين أسسوا تلك القرية، وبنوا بها المسجد الأثري القديم الذي يرجع بناؤه إلى القرن الثاني الهجري، ولكنه جُدد عدة مرات، ولا زال من هذا البيت عدة عائلات يقومون بالمقام المعروف بالمدرك، وهو أحد الأولياء المدفونين في تلك المنطقة، وفي ((الطرف الأحور في تاريخ مخلاف أحور)) للمؤلف تفصيلٌ شافٍ عنهم ، ولازال تحت الطباعة.

(٣) الهياثم إحدى قبائل المنطقة القدماء، وقد أشارت كتب التاريخ إلى قدمهم مع قبائل الجحافل والمياسر، ويسكنون نواحي دثينة .

(٤) آل بلجفار قبيلة عريقة بأحور، وينتمون إلى الشيخ أحمد بن محمد بلجفار المدفون بأحور والمتوفى بها في القرن العاشر الهجري، أخذ العلم عن الإمام العيدروس الأكبر ورحل إلى مكة ومكث مجاوراً بها سنواتٍ طويلة، ثم عاد إلى أحور واشتهر بالتسليك والتأديب وعِظَمِ الحال والعلم، وقد أشرنا إلى تسلسل نسبهم والخلاف فيه في كتاب ((الطرف الأحور في تاريخ مخلاف أحور)) ، ولا زال تحت الطبع.

وأخذه عن صلحائها وعلمائها، وخاصة عن شيخه الإمام الشهير الشيخ أبي بكر بن سالم، كما تردد على يشبم –حيث يقيم الشيخ عبيد– جماعاتٌ كبيرةٌ منهم، وإلى هذا أشار مؤلف المناقب ص٢٥ بما مثاله :

وروي أن الهياثم أتوا من دثينة إلى الشيخ عبيد، وأيضا اجتمع معهم أناس أضياف من آل بلجفار وآل الكود، ومن أبين من آل الفقيه سالم وغيرهم، فذبحوا لهم أربعة رؤوس غنم وطبخوا لهم كفايتهم من الطعام، فعندما حضر وقت الغداء وفد على السلطان صلاح أناسٌ من دولة الهياثم في جملة خلق، فأرسل الشيخ إليهم هم ومن معهم فأتوا، فأبى خادمه مرشد وقال : يا سيدي الطعام ليس يكفي ربعهم، وكذلك الإدام، فأتى الشيخ إلى الطعام وإلى قدور اللحم وخاضه بالسواك، فتفقد مرشد قطع اللحم فعد شخص المقحفة فوجدها ست وثلاثين مقحفة، والطعام كذلك على مقدار اللحم، فصارت الأربع غنم في مقام ثمانية عشر جلبة.

وذكر مؤلف المناقب في مكان آخر بيوتاً أخرى ممن لهم تعلق بالشيخ عبيد كآل مشايخ آل الفقيه عمر بن سعيد صاحب امنجدة وآل بريك وغيرهم[1] .

وكانت القبائل المذكورة وغيرها تهاب الشيخ عبيد وتحترم مقامه وصلحه، ولا يكاد أحد يخالفه في شيء إلا وأصيب بنازلة، وشواهد هذا الأمر مذكورة في المناقب، وفي غيرها من وريقات التواريخ، فقد جاء في الترجمة المخطوطة أثناء كلامه عن دولة العوالق ذكرٌ لأحد رجالهم، وهو الشيخ عبد الوهاب الطيب بن صلاح فقال : هذا الذي قتلوه دولة الهياثم في صلح الشيخ عبيد بن عبدالملك بانافع، ثم إن القاتل أخذته صاعقةٌ هو وابنه ومركوبه هي وابنها، هي فرسٌ وابنُها حصان صغير .

وبعد ذلك أعطت الدولة للشيخ عبيد ساقية في دثينة تسمى داغر، ولا زالت الساقية تحت أيدي المشايخ آل بانافع حتى رُدَّتْ إلى يد أهل عبد اللّه بن صالح من دولة دثينة يسمون أهل داغر، وأما رجوعها إليهم لم يكن فيه بيان بأي صيغة [2].

(١) المصدر السابق ص٢٦ .

(٢) نقلا عن مؤلَّف في مناقب آل بانافع مخطوط للشيخ أبي بكر بن عبد الرحمن بانافع محفوظ في مكتبتهم .

وفاة الشيخ عبيد وانتقاله إلى الدار الآخرة

قضى الشيخ عبيد بن عبدالملك حياةً كلُّها نفعٌ وانتفاعٌ وخدمةٌ بارَّةٌ للّه ورسوله والمسلمين، مع غاية الورع والزهد والخوف من اللّه، ويظهر ذلك بيِّناً في جملة مريديه وأتباعه وذريته الذين حملوا رايته من بعده، وأبقوا عاطرَ ذِكْرِه، ونشروا في البقاع طَيِّبَ خَبرِه، واستأنس بريحان أنفاسه الحائرون، فثابوا وتابوا، وانقلعت ببركته عن قلوب الكثير من البداوات جهالاتُ الجاهلية وغلظة الأعراب، وأحيا اللّه البلاد والعباد بالعلم والذكر وتردد الصالحين.

وقد دعاه داعي مولاه بعد أن بلغ من العمر أقصاه، وحان حين ملقاه، ففاضتْ روحه الشريفة العفيفة بعد العشاء من ليلة الخميس السادس والعشرين من شهر صفر سنة ١٠٠٦هـ، وشُيِّعَ إلى مثواه الأخير في جنازةٍ مَهِيبةٍ لم تشهد البلاد مثلها، ودفن خارج البلدة في بقعةٍ كان يقول لأصحابه إذا عَبَرَ عليها : إني أرى في هذا المكان نوراً يصعد إلى السماء، فكانت مدفنَه الأخيرَ، وورد الناس من شتى

الآفاق للتعزية، وكان الظهور من بعده لأخيه أحمد المكنون بن عبدالملك الذي قام المقامَ التامِّ بالأمر من بعده، رحم اللّه الجميع رحمة الأبرار .

الخاتمة

جنى آلُ بانافع ثمراتِ ظهورِه وصاروا يمثِّلون مقامه ويهابهم الخاصّ والعامّ، ولم يقف بعضهم عند هذا الحد بل اشتدَّ زحامهم على طلب العلم بحضرموت بُغْيَةَ نيل الشيء من منبعه، ومنهم من أدرك الحبيب عبد اللّه بن علوي الحداد ومَن في عصره، ومنهم من أدرك ولده الحبيب أحمد بن الحسن ومن في عصره .

ويفيض كتاب « المواهب والمنن » للسيد علوي بن أحمد بن الحسن الحداد بأخبار هؤلاء المشايخ القادمين إلى حاوي تريم للانتفاع، فمن ذلك قوله : « وأما أهل يشبم -آل بانافع- وغيرهم كالشيخ محمد بن عبدالملك وأخيه المخرمي والحسن وأحمد ومحمد بني عبيد بانافع وآل الشبلي ومحمد بن حسين وابنه وابن عمر بن أحمد وأولاده صغير وكبير ؛ فغالبهم قرؤوا على الحبيب الحسن

والوالد أحمد كتباً لا تحصى فقهاً وغيرها، حتى خرج منهم الكثيرُ وصاروا من المنتفعين بالدين، خصوصاً الفقيه علي بن محمد بن عبدالملك، حصلت له لحظةٌ من الوالد أحمد تَرَقَّى بها حياً وميتاً وأحبه واجتباه وخصه بالموالاة لعظم عقيدته الوثيقة فيه، ووصاه بوصايا نثراً ونظماً منها ما هو في ديوان الوالد معروفٌ، ثم ترقى بواسطة شيوخه فصار عَلَماً يُهتدى به، وقام بمنصب جده الشيخ عبيد بن عبدالملك بانافع ببلد يشبم، وكان له القَدْرُ والحشمةُ عند السلطان صالح بن فريد بن عوض بن منصر وعند قبائل جهته حتى توفي.

وممن انتفع بسيدنا الحسن والوالد من آل بانافع بصعيد يشبم الفقيه صالح بن محمد الشيبة والشيخان محمد وحسين أبناء الشيخ أبي بكر بن نافع، رحلا إلى شيخهما الحسن المرَّةَ بعد المرَّةِ لطلب العلم سنينَ وأعواماً، ولَبِسا منه الخرقة وأخذا الطريقة وتضلَّعا في كل فن من فنون العلم، حتى قال الحبيب أحمد بن زين الحبشي : لم أقل لأحد من آل بانافع: «فقيه» إلا الشيخ حسين.

أما محمد فحج مع شيخه الحسن ولحظه أكثر وحاله أكبر وإن كان علم الحسين أوفر، وصار محمد من أكابر الأولياء الذين

يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً، ولم يزل على الاستقامة التامة وأقرَّتْ بولايته أهل جهته وانتفعوا به في دينهم، ولم يزل على المدارس ونشر العلم والأذكار وصلاة الجماعة .

وأما حسين فكان كثير التردد والأسفار إلى عدن ونواحيها نفع اللّه به خلقاً كثيراً، وللحبيب أحمد بن الحسن أبياتٌ في الشيخ محمد جواباً على قصيدةٍ وصلتْ منه إلى الوالد فأجابه بقوله :

ألا أيُّها المحبوبُ صافي المودَّةِ   عليكَ سلامٌ مِن إلهِ البَرِيَّةِ
وقد وصلتْ أبياتُك الغُرُّ أَنْبَأَتْ   بصِدْقِكَ في حُبِّ النَّبي والقرابةِ
ومَن حَبَّ قوماً فهْو مَعْهُمْ ومِنْهُمُ   وقد جاء هذا في صحيحِ الروايةِ

وقد توفي الشيخ محمد المذكور في بلدة السفال، وكان له في الضيف محبةٌ وكرمٌ، وتوفي عبد الرحمن ببلد تريم وكان عالماً وعابدا .

وقد أشار مؤلف « المواهب والمنن » أن الحاوي لم تخلُ من طلبة العلم مدة حياة الحبيب عبد اللّه الحداد والحبيب حسن بن عبد اللّه والحبيب أحمد بن الحسن حتى اشتهروا بجهة تريم عند

العوام، وصار كل غريب يقطن الحاوي ممن لا يعرفه العوام ينادونه: يا بانافع .

وعلى العموم فالمشايخُ آلُ بانافع حفظوا للبلاد شريعةَ المصطفى صلى اللّه عليه وسلم خلالَ حِقَبٍ طويلة، حتى ضَعُفَتِ الهِمَمُ عن تَلَقِّي العلم، واندرج المشايخُ في السَّعْيِ للدنيا كما اندرج غيرهم من آل البيت وأتباعهم، وشُغِلَ الجميعُ بظواهر التعليم العصريِّ وبالوظائف الدنيوية، وليتهم جمعوا بين هذا وذاك، ولكن البديلَ الذي استعاضوا به عن طريقة أسلافهم قد أوصل الجميعَ إلى غُثائيَّةِ الحياة الاجتماعية، ولا حول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم.

الفهرس